شكارتنا التوحيد
الى الإسلام
من جديد

٦٧٨٨
١٠٨٧٨

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

العـــــدد الثانى — المجـــــلد ٣٨

شـــــوال ١٤١٣ھ — مارس و ابريل ١٩٩٣م

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكناؤ الهند

72336 — 73864

REGD No LW /NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

JANUARY — FEBRUARY — 1993

صدر حديثاً :

الملك الصالح المصلح

السلطان محي الدين اورنگ زيب عالمگير

حملة الأمراء الحربية المغولية الكبيرة الممتدة

من شرقي الهند إلى غربي أفغانستان

حياته الدينية الزاهدة، أعماله الإصلاحية الحاكمة

وآثاره التنظيمية والإدارية والتدوينية

قطعة ملتقطة من كتاب

"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"

للعلامة الشريف عبد الحي الحسني رحمه الله

قام بالنشر

دار عرفات دارة الشيخ علم الدرراي بريلي (الهند)

المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

قام بالنشر و التوزيع شاهد حسين (مؤسسة الصحافة و النشر) ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الثاني - المجلد الثامن و الثلاثون

شوال ١٤١٢هـ - مارس وأبريل ١٩٩٣م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box. 93. Lucknow (INDIA)

إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم « البعث الاسلامى » تجتاز الآن عامها الثامن و الثلاثين ، و ذلك بتوفيق الله تعالى وحده ، فنحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة فى فى الظروف القاسية التى تجتازها الأمة الاسلامية ويتعرض لها المسلمون فى كل مكان ، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى تتحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة فى قيمة الاشتراكات ، رجاء أن تكون فى صالح المجلة .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة روبية

ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI

C/o. NADWAT UL ULAMA

P. O. Box : No. 93.

Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

في هذا العدد

الافتتاحية :

قيادة رشيدة وموقف صريح — سعيد الأعظمي ٣

التوجيه الإسلامي :

في رحاب سورة النور — د/محمد لقمان الأعظمي الندوي ١٠

نظرات على سنن أبي داؤد وشروحه — سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ١٤

أسباب الغزو الفكري . — د/ أحمد عبد الرحيم السايح ٢٢

الدعوة الإسلامية :

الإسلام والمستقبل — د/محمد عبد الستار نصار ٢٨

الرابطة الإسلامية هي أعظم الوسائل .. — سماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ٣٧

التي تربط بين المسلمين

الابتلاء والاختبار — د/محمد بن سعد الشويعر ٤١

أهمية الإيمان وضرورته للإنسان — فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر بن مفرح ٥٠

التوحيد والشرك وأقسامهما — الأستاذ محمد جنيد الجاتكاني ٥٤

دراسات و أبحاث :

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس — د/عبد الحليم عويس ٦٠

الإمام الطبري وقوة حفظه ... — عبد الرحمن الملي الندوي ٧٠

رجل فقدناه :

محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي ومنجزاته العلمية — سعيد الأعظمي ٧٥

فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف — د/محمد لقمان الأعظمي الندوي ٨٢

صور و أوضاع :

بين تفسير وتفسير — واضح رشيد الندوي ٩٢

قراءة في كتاب :

مصارف الزكاة — خورشيد أنور البجنوري الندوي ٩٧

إلى رحمة الله :

فضيلة الأستاذ عبد النور الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

قيادة رشيدة وموقف صريح

هدم المسجد البابري لم يكن حادثاً من النوع العادي ، وبصرف النظر عن الدوافع والأسباب والخلفيات التي أدت إلى هذه المأساة السوداء التي تُسجل بمداد من الألم والفضيحة ، وتبقى وصمة عار على جبين التاريخ الهندي ، لا يسعنا إلا أن نقول : إن تدمير بيت من بيوت الله بكل قسوة وجفاء ومن غير مبالاة بالعواقب ، وتحويله إلى معبد تُعبد فيه الأصنام ليس إلا خطوة أولى إلى انتهاك الحرمات ، وضرب كل قانون ونظام عرض الحائط ، ليس ذلك إلا إعلاناً بالعودة إلى شريعة الغابات وقانون العصابات ، حيث لا قيمة للعدالة ولا مكانة للأخلاق ولا مجال للحقوق الإنسانية .

فإن ردود الفعل التي ظهرت إثر تدمير هذا المسجد التاريخي ، لا في جميع أنحاء الهند بل في دول العالم المختلفة كانت شهادة على ذلك الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين الذي يعيش في خفايا القلوب ، ويمهد الطريق إلى ممارسة كل عنف وجريمة في سبيل تحقيق الهدف الذي يسيطر على العقول ويستولى على النفوس ، ولعل هذا الحقد وذلك الغيظ ضد الشعائر الإسلامية يشبه بعض الشئ بالغيظ والكراهية التي حملها المشركون ضد الدعوة إلى التوحيد ورسالة الإسلام في فجر التاريخ

الإسلامي ، فقد بلغ بهم العداء ذلك المبلغ الذي صمموا فيه على القضاء على كل شئ يحول دون عبادة الأوثان ، والحياة الجاهلية ، ويدعو إلى دين جديد ودعوة جديدة .

شهد التاريخ الإسلامي نماذج كثيرة للمعارك التي قامت بين الحق والباطل ، ظهر فيها أن الباطل غلب على الحق ، وأصبحت له جولة وصولة بعثت في قلوب أهل الحق خوفاً ورهبة وظنوا أنهم مهزومون مقهورون ، ومهددون بكل نوع من الجور والعسف والطغيان ، ولكنهم لم يقطعوا الرجاء ولم يُوهوا صلتهم بالله ولم تضعف ثقتهم بالنصر ما داموا مؤمنين مخلصين ومتمسكين بالحق ، وما كانوا يعالجون الأمور بالحكمة والإيمان ، ويواجهون الظروف بالصبر وانتظار الفرج ، ذلك هو في الواقع الطريق السليم نحو الغلبة والانتصار والنصر المبين ، ﴿ وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيزٌ حكيم ﴾ .

إن ما حدث بعد هدم المسجد البابري من فضائح يندى لها جبين الإنسانية ومن أحداث رهيبة و وقائع مروعة ذهب ضحيتها نفوس بريئة كثيرة لا ينساها التاريخ الإنساني في أي فترة مهما طالت ، فقد كان يبدو أن بركان الغيظ والكراهية الشديدة تفجر في هذه البلاد ، وشملها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً في آن واحد ، ولم يتوقف تياره إلى الآن ولم يهدأ الجو لحد الساعة ، وقامت جدران الشكوك وعدم الثقة بين المسلمين والمواطنين في كثير من المدن والمناطق ، وثارت عواطف البغض والانتقام بين القاطنين في مدينة واحدة ومنطقة واحدة ، مما أدى إلى نشوء أوضاع سيئة عجيبة في طول هذه البلاد وعرضها ، وكأن الناس قد فقدوا الأمن على أرواحهم وأموالهم ، وسادت المخاوف والأهوال في كل مكان ، الواقع الذي يهدد بمستقبل البلاد ، ويحول دون بنائها وازدهارها ودون تقدمها واتساعها .

هذه الأوضاع كانت تتطلب أن تنهض قيادة رشيدة للمسلمين تتولى توجيههم إلى الطريق الصحيح وتبين لهم الخط الواضح لمواجهة الوضع الناشئ بعد حادثة المسجد ، فاجتمع أعضاء المجلس التنفيذي لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في اجتماع خاص على دعوة من سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي على أساس أن هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند مؤسسة إسلامية قانونية تمثل جميع طبقات المسلمين في هذه البلاد ، وتتمتع بالثقة الكاملة من جميع الجهات الإسلامية في هذه البلاد ، فكانت أجدر ما يمكن أن تدرس الوضع الإسلامي في قضية هدم المسجد البابري من جميع النواحي القانونية والسياسية ، وما تعلنه الحكومة عن بناء مسجد كبديل للمسجد البابري ، كما يجب أن تبدئ تألمها على اشتعال نار الأحداث الدامية والاضطرابات القاسية التي تفجرت إثر تدمير المسجد .

وفعلاً وقفت هذه الهيئة موقفاً جريئاً صارماً من هدم المسجد البابري ، وقرار الحكومة ببناء بديل له ، ومن الوقائع الجارحة في طول البلاد وعرضها ، فاتخذت عدة قرارات في هذه الجلسة الخاصة ، نشرتها أجهزة الإعلام ، وأبلغها إلى الحكومة المركزية أعضاء المجلس التنفيذي للهيئة برئاسة سماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، مع مقابلة رئيس الوزراء ، وإفادته بشعور المسلمين نحو هذه القضية الساخنة ، وإشعاره بأن هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند هي في الواقع مؤسسة المسلمين التي تتمتع بثقتهم الكاملة والتزامهم بجميع قراراتها ومرئياتها .

وقد جاء فيما اتخذته الهيئة من قرارات حول الموضوع أن الأرض التي بنى عليها المسجد في عام ١٥٢٨م لا تزال في حكم المسجد مهما هدم بناؤه

ونصبت عليها الأوثان ، وهي لا تفقد قدسية المسجد إلى يوم القيامة في نظر الشريعة الإسلامية ، وجاء في قرار آخر أن إصدار أي قرار حول تحويل أرض المسجد إلى ملكية الحكومة ليس إلا ظلماً صريحاً لا يعتمد على شرعية ، وتدخّل صريح في حقوق الحرية الدينية ، فما لم تعلن الحكومة إلغاء هذا القرار وإعادة أراضي المسجد إلى المسلمين لا تعود ثقة المسلمين بديمقراطية البلاد وعلمانية القانون إلى نفوسهم ، وقرار آخر يوصى المسلمين بالتمسك بذيل الصبر والصمود أمام الظروف المضادة التي هي نتيجة العقلية المتطرفة الطائفية ، التي تولت مسئولية الهدم والتخريب ، ولكن الأعراض والأموال والأرواح إنما هي منة من الله على العباد وأمانة منه إليهم ، فلا بد من اتخاذ موقف الدفاع والمقاومة ضد المهاجمين والمجرمين والشاغبين ، في حدود القانون والأخلاق والدين ، وأعلن المجلس التنفيذي في قرار أن وجود المسلمين في هذه البلاد ليس منة من الحكومة أو الأغلبية الهندوسية أو أي طائفة أخرى ، إنما هو منحة من الله تبارك وتعالى وحده ، فلا يستطيع المسلمون أن يعيشوا إلا بالاعتماد على الله تعالى ، وبالثقة بنفوسهم ، وصرح أعضاء المجلس بأن الأوضاع السيئة التي أنتجها هدم المسجد البابري ليست مشكلة المسلمين وحدهم ، وإنما هي مشكلة هذه البلاد كلها بدون تمييز .

وبمجرد صدور هذه القرارات من هيئة إسلامية عليا تُعتبر موضع ثقة المسلمين كلهم في هذه البلاد عمت موجة من الارتياح في جميع طبقات المسلمين ، وبدأ الناس يتظاهرون بذلك بطرق مختلفة وأبدوا موافقتهم كليا على قيادة هذه الهيئة الإسلامية وثقتهم برئيسها العام سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، الذي عاش على حسك من السعدان ، وفي قلق عظيم ، لم يهنأ له نوم و لا راحة ، منذ حدوث الظروف

القلقة والأوضاع الشاذة في البلاد ، لقد كان ينظر إلى مستقبل بعيد ببصيرته الدينية وفراسته الإيمانية ، فوضع كل إمكانياته وطاقاته في سبيل إنقاذ البلاد من المصير السيئ الذي كان يهددها بالانهيار ، وفي إخراج اليأس من قلوب المسلمين وتذكيرهم بالواجب الديني الذي يدعوهم إلى الالتجاء إلى الله تعالى والعودة إلى أخلاقهم والدعوة إلى موقف هادئ معتدل من الأوضاع الناشئة والظروف المضادة ، والبحث عن حلول للمشكلات التي يعانون منها على الصعيد السياسي والاجتماعي مع الالتزام بالمستوى الإيماني الأعلى ، وفي حدود وبنود ينص عليها دستور البلاد .

ولم يكتف سماحة العلامة الندوي بإصدار قرارات المجلس التنفيذي لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية حول ما حدث ولا يزال يحدث كنتيجة لهدم المسجد ، بل إنه تبنى هذه القضية و توفر على تهدئة الأعصاب وتوجيه المسئولين عن الحكومة المركزية وكبار الحكام والوزراء والذين بأيديهم أزمة الأمور ، إلى أن يكونوا واقعيين في هذه المشكلة ، ولا يؤخروا عقارب الساعة إلى الوراء ، ولا ينبهوا أسد التاريخ النائم حتى يثور عليهم ويجعلهم لقمة سائغة له ، وقد عقد لهذا الغرض ندوات واجتماعات من منبر « رسالة الإنسانية » وعرض عن طريقها أمام الطبقة المثقفة من المواطنين الهندوس أفكاراً إنسانية لا يستغنى عنها من يتمنى تقدم البلاء والعيش في ظل الأمن والسعادة والعافية والرخاء .

كما أنه لفت أنظار المسلمين إلى إزالة أسباب الشقاء التي التصقت بحياتهم ، و وجههم إلى الصلاح والتقوى والقدورة الإنسانية والمثل العليا الإسلامية والقيم الخلقية لكي يقدموا نماذج من سيرتهم العالية الزكية إلى غير المسلمين ويفتحوا قلوبهم بتأثيرها ، فذلك هو الطريق الأنفع و الأقوم للتعريف بالإسلام و تحبيب الحياة الإسلامية إلى

النفوس : ﴿ و من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إنني من المسلمين ﴾ .

إن هدم المسجد البابري ليس واقعاً يمر به المسلم بسلام ، وإنما هو يرادف هدم شعائر الله ، وانتهاك حرمات الله ونقض قوانين الأخلاق والآداب الإنسانية والدينية ، وسوف لا ينتهي هذا الحادث بسهولة ، ولا يطويه العالم في غضون النسيان ، بل انه سيبقى حياً ويخلد مع التاريخ ، ويلعن الأجيال على العصبة المجرمة التي تجرأت على هذه الجريمة الوقحة القذرة ، وتتلاحق هذه اللعنة خلفاً عن سلف ، ويُخشى أن يكون ذلك عائقاً كبيراً في تقدم هذه البلاد وأمنها ورخائها وفي بنائها وازدهارها -لا قدّر الله- .

ومهما يتبجح المسئولون عن هذه الارهابية بكلمات من الفخر والاعتزاز على هدم المسجد وتدمير كيانه ، ويعلنوا أمام الجماهير الهندوسية - للاستهلاك المحلي - أنهم يشعرون بسمو وعزة بإزالة آثار المسجد وبناء معبد راما على أنقاضه ، ولكنهم في قلق شديد يقض مضاجعهم ، ويملأ نفوسهم بالهيبة والفزع ، وتطاردهم الأشباح المخيفة في كل مكان .

إن تعبيرهم عن هذه الجريمة النكراء بأنها « بداية عهد جديد للتاريخ الهندي » وبأن هدم المسجد البابري «خطوة ثورية» نحو بناء « هند جديدة » على أنقاض حكم المسلمين في هذه البلاد ، إن دل ذلك فإنما يدل على عقلية منهزمة تسوقهم إلى الدمار والشقاء وإلى عهد العبودية الخاسرة الخاسئة،ذلك العهد المظلم الحالك الذي ليس له نهاية ، ولا يتبعه نهار مشرق .

﴿ فويل للكافرين من عذاب أليم ﴾ ...

سعيد الأعظمي

خزينة الكتب

التوجيه الإسلامي

في رحاب سورة النور

[الحلقة الثالثة]

الدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي
رئيس قسم الدراسات الإسلامي - كلية إعداد المعلمين
حائل - السعودية

الفرق بين حماسة (سعد) وحدته، وبين تماسك (هلال بن أمية) وهدوئه:

فهذا هلال بن أمية يرى بعينيه ويسمع بأذنيه ولكنه يجد نفسه محجوزاً بحاجز القرآن فيغلب مشاعره ويكبح غليان دمه وفوران شعوره واندفاع أعصابه لأن الإسلام هذب طباع الجاهلية فيه، فيربط هذا كله في انتظار حكم الله وحكم رسول الله -ﷺ- وهو جهد شاق مرهق، كيف أمكن أن يحدث هذا ؟

لقد حدث لأنهم كانوا يحسون أن الله معهم وأنهم في كنف الله، وأن الله يرعاهم ولا يكلفهم عنتا ورهقا، « فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فأمسك حتى أصبح، فلما أصبح غدا على رسول الله -ﷺ- وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلاً مع أهلي ..إلخ» (١) فلا يجد رسول الله -ﷺ- مناصاً من تنفيذ حد الله، ولكن هلالا - رضي الله عنه - يتماسك ويقول بكل هدوء « فإني لأرجو أن يجعل الله فرجاً فهمّ رسول الله -ﷺ- بضربه، وهلال بن أمية لا يتصور أن الله تاركه لحد، كما توضح ذلك الرواية التالية : عن عكرمة عن ابن عباس، قال : لما قذف هلال بن أمية امرأته، قيل له : والله ليجلدنك رسول الله -ﷺ- ثمانين جلدة، قال : الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة و قد علم

(١) ابن كثير : م/٣ (النور) : ص/٤٢٧.

أني قد رأيت حتى استيقنت، و سمعت حتى استثبتُ، لا و الله لا يضربني أبداً، فنزلت آية اللاعنة (١).

أي إيمان هذا، وأي ثقة بالله هذه، وكيف حدث هذا ؟ حدث هذا لأنهم يتطلعون إليه دائماً كما يتطلع الأطفال للعائل الكافل الرحيم.

لحظة وجوم، ضيق، وحرج، وإذا وجه رسول الله -ﷺ- يتربد، وكان إذا نزل الوحي عرفوا ذلك فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم • فشهادة أحدهم أربع شهاداتٍ بالله إنه لمن الصادقين • والخامسة أن لعنة الله عليه إنه كان من الكاذبين ﴾.

وهذا الحديث المثير لدليل ناطق على استجابة الله لنداء عبده، فهو الله الذي لبى نداء امرأة مؤمنة (خولة بنت ثعلبة) من فوق سبع سماوات : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (٢).

وهو الله البصير الذي أغاث المجاهدين في معركة أفغانستان مرات ومرات وبصورة إعجازية حيرت العقول المادية، وهو السميع الذي يغيث المظلوم والمكروب في كل زمان ومكان، إذا صلحت النية وتعلق القلب بالله المجيب.

والقصة تصور ردهات المسجد النبوي وهي تشهد قضايا الحياة اليومية بتوافد الصحابة فيها منذ الصباح الباكر يلتفون حول نبي الرحمة يستفتون في مسائل جديدة ويوجهون إليه مسائل تخص حياتهم الأسرية ويتدارسون المشاكل العويصة التي يعجز البشر عن حلها، فإذا

(١) تفسير الطبري : ج/ ، ص/٨٤.
(٢) سورة المجادلة، الآية : ١.

بالوحي ينزل ويبت وليّه أنظمةً دقيقة تكون مصدراً لسعادة البشرية ومنبعاً للنور و الهداية فالمسجد النبوي مدرسة ومعهد للقضاء « و لا خلاف في أنه لا يكون اللعان إلا في مسجد جامع تجمع فيه الجمعة بحضرة السلطان أو من يقوم مقامه .. » (١) .

أسوة للقضاة وتربية في قفص الاتهام :

فقال رسول الله -ﷺ- أرسلوا إليها ، فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله قيل لها : فكذبت ، فلننظر ولنتعمق ، كيف يعالج هادي الأمة ونبي الرحمة هذه القضية المتشاركة فيواجه المتهمين ، بلهجة الناصح الحكيم : إن الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ الجمهور في هرج ومرج والقضية شائكة ، ولهجة الهادي القاضي في قمة من الأدب والهدوء ، ويدافع هلال بن أمية - رضي الله عنه - بنفس الأدب والهدوء والحب : بأبي وأمي لقد صدقت .. ثم قيل له عند الخامسة : يا هلال : اتق الله ، فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإنها الموجبة التي توجب عليك .

كلمات مليئة بالتذكير والتحذير ولتجديد الإيمان ، لتطهير النفس ، -ﷺ- يربي المتهم وهو في قفص الاتهام ويثير فيه كوامن الإيمان ويستجيش مشاعره ويهول أمامه عذاب الآخرة ، فإن الوقت حرج والمشاعر فيها مرهفة ومستعدة لتلقى التوجيه والاصغاء إلى الكلمات النبوية المليئة بالحنان والود ومفاهيم التوجيه والنصح .

ويأتي دور المرأة وتكررت أساليب الدعوة المليئة بالحكم والموعظة الحسنة وتتأثر المرأة وتهتز فعندما قيل لها عند الخامسة ، اتقى الله فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الموجبة ، فتلكأت ساعة .. ثم قالت و الله لا أفضح قومي .. لأن غرائز العنصرية و العصبية يتطلب

(١) تفسير القرطبي : ج/١٢ ، ص/١٩٢ .

تهذيبها والقضاء عليها وقتاً أطول « ففرق بينهما رسول الله -ﷺ- وقضى أن الولد لها ، ولا يدعى لأب ، ولا يرمى ولدها » (١) وهنا يتساءل المرء ، كيف فلتت المرأة من العقوبة ؟

لأن الإسلام لا يقيم بناءه على العقوبة ، بل على الوقاية من الأسباب الدافعة إلى الجريمة و على تهذيب النفس و تطهير الضمائر و على الحساسية التي يثيرها في القلوب ، فيتحرج من الإقدام على جريمة ويتردد في الاندفاع لاستجابة النفس الأمارة بالسوء ولا يعاقب إلا المتبجحين بالجريمة ، الذين يرتكبونها بطريقة فاضحة مستهترة فيراها الشهود .

ولأن الإسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء الحياة النظيفة وإنما يعتمد على الأساليب التربوية أولاً وقبل كل شئ ، ثم على الضمانات الوقائية وعلى تطهير الجو جو الحياة كلها من رائحة الجريمة .

« ولما حرم الله سبحانه بهذه الجمل الأعراض والأنساب فصان بذلك الدماء والأموال ، علم أن التقدير : فلو لا أنه سبحانه خير الغافرين وخير الراحمين ، لما فعل بكم ذلك ولفضح المذنبين » (٢) ﴿ ولولا فضل الله عليكم و رحمته و أن الله تواب حكيم ﴾ (سورة النور، الآية : ١٠) . لَعاجلكم بالعقوبة ولفضح الزاني ، ولكنه ستر ، ونلاحظ أنه لم يرد هنا ذكر (شريك بن سحماء) ولم يحضر هذا المشهد التربوي ؟ وغيابه عن هذا المشهد التربوي ربما له أبعاده وتأثيره يظهر فيما بعد .

وأما الغلام فقد كان بعد ذلك أميراً (٣) عاش محترماً مكرماً ممنوعاً أن يقذفه أحد ، لتبقى البيئة سليمة من الكلمات النابية بعيدة عن الحزازات النفسية .

(١) الطبري : ج/١٢ ، ص/٨٢ .
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج/١٢ . سورة النور ٢٤-١٠-١١ .
(٣) القرطبي : ج/١٢ ، ص/١٨٢ .

نظرات على سنن أبي داؤد وشروحه

[الحلقة الثالثة]

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

عرض وتعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

وكان الباعث الثاني عليه هو عدم وجود شرح واف لهذا الكتاب الجليل بقلم عالم حنفي يجمع بين التبحر في الحديث والتضلع في الفقه مع أن الكتاب من أهم الكتب التي يعتمد عليها في إثبات مذهب أو رد مذهب ، لأن موضوعه الخاص وميزته الكبرى هو أحاديث الأحكام وهي التي يكثر فيها الخلاف ، وتتجلى فيها القدرة على التحقيق وقوة الاستدلال ، وذلك ما أهم المؤلف وشغل خاطره .

ولم يزل علماء الإسلام منذ قديم الزمان يشرحون كتب الحديث وفي مقدمتها - الصحاح الستة - بوجهة نظرهم الخاص ويطبقون بين الأحاديث وآراء مذهبهم ويقدمون دلائلها من كتب الحديث الموثوق بها ، المعتمد عليها ، كما فعل الإمام أبو جعفر الطحاوي (١) في شرح معاني

---

(١) هو الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي (٢٢٧-٣٢١هـ) سمع عن هارون بن سعيد ويونس بن عبد الأعلى والمزني وطبقتهم ، وروى عنه الخشاب وابن المقري والطبراني وغيرهم ، رحل إلى الشام وتفقه بالقاضي أبي حازم وغيره ، وبرع في الفقه والحديث ، كان ثقة ثبتاً عالماً بمذاهب الفقهاء لم يخلف مثله ، انتهت إليه رئاسة أصحاب مصر ، له تصانيف بديعة ممتعة ، منها معاني الآثار ومشكل الآثار وغيرهما ، (تذكرة الحفاظ :٢/٨٠٨) (وفيات الأعيان : ١/٥٢) (شذرات الذهب : ٢/٢٨٨) (الجواهر المضيئة : ١/١٠٤) (الفوائد البهية : ص/١٨) .

الآثار وكما فعل العلامة الزيلعي (١) في نصب الرأية ، والعلامة علاء الدين ابن التركماني (٢) في الجوهر النقي ، وسادتنا الشافعية - والحق أحق أن يقال - قد أحرزوا قصب السبق في ميدان التأليف والتدوين (٣) فإذا ألف أحدهم شرحاً لكتاب من كتب الصحاح تلاه عالم كبير من علماء المذهب الحنفي فألف شرحاً آخر لهذا الكتاب ، وإذا ألف أحد كبار علماء الشافعية أو المالكية كتاباً في التفسير أو في أصول الفقه وتلقاه الناس بالقبول وسارت به الركبان وشغف به الأوساط العلمية والحلقات التعليمية ، جاء عالم حنفي فألف كتاباً في نفس الموضوع قد يفوقه وقد يدرك شأوه وقد يتخلف عنه ، شأن الكتب العلمية والجهود البشرية في

---

(١) هو الإمام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي (م ٧٦٢هـ) سمع من أصحاب النجيب وأخذ عن الفخر الزيلعي وابن التركماني وغيرهما ، ولازم مطالعة كتب الحديث حتى برز فيه ، له مصنفات ممتعة ، منها ، نصب الرأية في تخريج أحاديث الهداية ، وتخريج أحاديث الكشاف وغيرهما ، (ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي : ص/٦٢) (الدرر الكامنة : ٢/٢١٠) .

(٢) هو الإمام العلامة علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني المعروف بابن التركماني الحنفي (٦٨٢-٧٥٠هـ) ولد في بيت غريق في العلم والدين ، أخذ عن الأبرقوهي والدمياطي وطبقتهما و ولي قضاء الحنفية بالديار المصرية ودرس وأفاد ، أخذ عنه العراقي والزيلعي وعبد القادر القرشي وغيرهم ، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه والأصول ، له مصنفات مفيدة منها « الجوهر النقي في الرد على البيهقي في مجلدين ضخمين) وغيره من الرسال الممتعة ، (ذيل تذكرة الحفاظ : ص/١٢٥) (الدرر الكامنة : ٢/٨٤) (الجواهر المضيئة : ١/٢٦٦) (الفوائد البهية : ص/٥١) .

(٣) خاصة في التفسير والحديث ، أما الفقه بجزئياته و استنباطاته الدقيقة فللحنفية فيه تقدم وشأن .

كل زمان ومكان وهذه قصة عمدة القاري للعلامة بدر الدين العيني (١) مع فتح الباري للعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني (٢) وهذا هو الدافع النبيل الذي دفع بعض كبار علماء الحنفية إلى تأليف كتاب في تفسير القرآن بعد ما كثرت مؤلفات علماء الشافعية في التفسير ، وانتشرت في الآفاق ، وأقبل عليها الطلبة والعلماء درساً وتدريساً كما فعل العلامة أبو البركات حافظ الدين النسفي (٣) في كتابه ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، والعلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٤) في تفسيره المسمى بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) والمحدث الكبير والفقيه الشهير القاضي ثناء الله الپاني پتي (٥) في

(١-٢) مضت تراجمهما .

(٣) هو الإمام العلامة عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفي (م ٧١٠هـ) برز في الفقه والحديث والتفسير ، تفقه على شمس الأئمة الكردري وعلى غيره من العلماء ، كان إماماً كاملاً عديم النظير في زمانه ، له مصنفات جليلة أشهرها كنز الدقائق في الفقه وغيره ، (الدرر الكامنة : ٢/٢٤٨) (الفوائد البهية : ص/٤٢) (الجواهر المضيئة : ١/٢٧٠) (معجم المؤلفين : ٦/٢٢) .

(٤) هو الإمام العلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (٨٩٨-٩٨٢هـ) قرأ على والده وصار ملازماً من المولى سعدى چلپي ثم ولي قضاء برسه، ثم قضاء قسطنطينية ثم قضاء العسكر في ولاية روم ايلي، ثم تولى الفتيا واستمر على ذلك إلى وفاته ، كان عميق النظر في الفقه والفتوى وسيع الاطلاع في الفنون ، له بعض التصانيف النافعة منها كتابه في التفسير وحاشية على العناية وبعض التعليقات على الكشاف ، (شذرات الذهب : ٨/٣٩٨) .

(٥) هو العلامة المحدث ثناء الله العثماني الپاني پتي أحد العلماء الراسخين ، ولد ونشأ ببلدة پاني پت وقرأ على أساتذة بلدته ثم سافر إلى دهلي وأخذ عن الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي وبرز في الفقه والحديث والتفسير ، <<<

التفسير المظهري .

والعلم الثالث الذي له صلة وثيقة بالمذاهب والآراء الفقهية وعليه أساس استنباط المستنبطين واجتهاد المجتهدين ، هو علم أصول الفقه فكان المجال الثالث لتأليف فحول علماء المذهب ونوابغهم ، فألف العلامة أبو الحسين البصري (١) وإمام الحرمين العلامة أبو المعالي عبد الملك الجويني (٢) و حجة الإسلام محمد بن محمد

<<< قال الشيخ غلام علي الدهلوي : « إنه كان متفرداً في أقرانه في التقوى والديانة مشتغلاً بالتدريس والتصنيف وفصل القضايا ، وإنه بلغ إلى رتبة الاجتهاد في الفقه والأصول ، له مصنفات مشهورة منها ، التفسير الطبري في سبع مجلدات و «ما لابد منه» في الفقه ، وكتاب مبسوط في مجلدين في الحديث ورسائل أخرى ، توفي في بلدته سنة ١٢٢٥هـ (نزهة الخواطر: ٧/١١٥) .

(١) هو العلامة أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المتكلم على مذهب المعتزلة وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفن ، كان إمام وقته ، له التصانيف الفائقة في أصول الفقه منها (المعتمد) وغير ذلك من المصنفات ، سكن ببغداد وتوفي بها سنة ٤٢٦هـ (وفيات الأعيان : ٤/٢٧١) (شذرات الذهب : ٣/٢٥٩) .

(٢) هو العلامة الإمام إمام الحرمين أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي (٤١٩-٤٧٨هـ) تفقه على والده في صباه وبعد وفاته أخذ عن تصانيفه حتى أربى على المتقدمين وجلس على مسند والده ثم تركه وسافر إلى مكة وجاور بها أربع سنين ولقب بإمام الحرمين ، ثم رجع إلى نيسابور وذهب إلى بغداد وتولى تدريس النظامية وحصل له القبول ما لم يحصل لغيره ومكث على ذلك ثلاثين سنة ثم رجع إلى نيسابور واشتغل بالتأليف والتصنيف حتى وافته المنية ، له مصنفات بديعة منها ، البرهان في أصول الفقه ، والنظامي ، والغياثي ، وغيرها ، (شذرات الذهب : ٣/٣٥٨) (سير أعلام النبلاء : ١٨/٤٦٨) (الطبقات الشافعية : ٣/٢٤٩) .

الغزالي (١) والعلامة علي بن أبي المظفر الآمدي (٢) والإمام فخر الدين الرازي (٣) وغيرهم من كبار علماء الشافعية .

والعلامة جمال الدين بن حاجب (٤) والعلامة أبو إسحاق الشاطبي (٥)

---

(١) هو الإمام حجة الإسلام زين العابدين أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) أخذ عن إمام الحرمين حتى برع في زمن أستاذه ، ثم ولي التدريس بمدرسة النظامية ببغداد وهنا بعد صيته وارتفعت منزلته فترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد وبلغ الكمال ، إنه دخل في أحشاء الفلسفة ثم خرج منها وصنف كتابه ، تهافت الفلاسفة للرد عليها وهي من أكبر مآثره، وله غير ذلك مصنفات نافعة أشهرها (إحياء علوم الدين) .

(٢) هو العلامة أبو الفضائل علي بن أبي المظفر يوسف بن أحمد بن محمد بن الحسين الآمدي الواسطي الشافعي (٥٥٩-٦٠٨هـ) تفقه ببغداد على الشيخ أبي طالب صاحب ابن الحلل وغيره ، وسمع الحديث من جماعة كثيرة ببلدته واسط وبغداد ثم تولى القضاء بواسط ، كان له معرفة بالحساب وقد كان يقرض الشعر، توفي بواسط (وفيات الأعيان : ٢/٧٥) .

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي المفسر (٥٤٤-٦٠٦هـ) قرأ على والده ثم قصد الكمال السمناني ثم صحب المجد الجيلي حتى فاق أقرانه في علم الكلام والمعقولات وبعد صيته ، وكان العلماء يقصدونه من البلاد وتشد إليه الرحال ، له مصنفات بديعة ممتعة أشهرها (التفسير الكبير) (وفيات الأعيان : ٢/٢٨١) (طبقات الشافعية للسبكي : ٥/٣٢) .

(٤) هو العلامة أبو عمر وعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدوني ثم المصري الفقيه المالكي جمال الدين بن الحاجب (٥٧٠-٦٤١هـ) تفقه على مذهب مالك ، وبرع في العربية والقراءات وانتقل إلى دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها وأفاد خلقاً كثيراً ، له مصنفات نافعة في أصول الفقه والنحو والصرف (وفيات الأعيان : ٢/٢٤٨) (شذرات الذهب : ٥/٢٢٤) .

(٥) هو الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير <<<

من علماء المالكية ، والإمام محمد بن الحسين أبو يعلي (١) والعلامة ابن قدامة المقدسي (٢) من علماء الحنبلية ، مؤلفاتهم الشهيرة في علم الأصول وسارت بها الركبان ودرجت الأجيال على دراستها ، وحفظ بعضها وشرحها عدة قرون ، صنف الإمام علي بن محمد بن عبد الكريم فخر الإسلام البزدوي (٣) من علماء الحنفية كتابه المشهور بـ (أصول

>>> بأبي إسحاق الشاطبي (م ٧٩٠هـ) محدث فقيه ، أصولي ، لغوي ، مفسر ، من مؤلفاته (عنوان التعريف بأسرار التكليف) في الأصول و(الموافقات) في أصول الأحكام وغيرهما ، (معجم المؤلفين : ١/١١٨) .

(١) هو الإمام أبو يعلي ابن القراء شيخ الحنابلة القاضي الحبر محمد بن الحسين ، محمد بن خلف البغدادي (٣٨٠-٤٥٨هـ) صاحب التصانيف وفقيه العصر ، حدث عن أبي العربي والمخلص وطبقتهما وتفقه على أبي عبد الله بن حامد ، وأملى عدة مجالس وولي قضاء الحريم ، له تصانيف كثيرة منها (الكفاية) و (العدة) في أصول الفقه و (أحكام القرآن) وغيرها من المصنفات ، (شذرات الذهب : ٢/٢٠٦) (الأعلام : ٦/٢٢١)

(٢) هو العلامة الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ، أبو محمد موفق الدين الفقيه المجتهد (٥٤١-٦٢٠هـ) أخذ عن الشيخ عبد القادر وهبة الله الدقاق وابن البطي وتفقه على ابن المنى حتى فاق أقرانه وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله ، أخذ عنه ابن الدبيشي والضياء ، والمنذري وغيرهم ، له مصنفات نافعة ضخمة منها المغني في سبع مجلدات كبار والبرهان في علوم القرآن والروضة في الأصول وغيرها . (شذرات الذهب : ٥/٨٨) (معجم المؤلفين : ٦/٢٠) .

(٣) هو الإمام العلامة أبو الحسين علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم الحنفي الفقيه الأصولي ولد في حدود أربع مائة ، يقول العلامة اللكنوي : " هو الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم إمام الدنيا في الفروع والأصول " وكان يضرب به المثل في الحفظ ، له تصانيف جليلة وكتاب كبير في أصول <<<

البزدوي) وصنف الشيخ العلامة حسام الدين محمد بن محمد بن عمر الأخسيكثي (١) الحنفي كتابه (المنتخب الحسامي) وألف الشيخ العلامة كمال الدين ابن الهمام الحنفي (٢) كتابه المشهور (التحرير) وتداولت الأيدي هذه الكتب وأقبل عليها العلماء دراسة وتدريساً وشرحاً وتلخيصاً حتـــى جاء الشيخ العـــلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفي البهاري الهندي (٣) فصنف كتابه المشهور (مسلم الثبوت) فتهافت عليه العلماء

<<<< الفقه المعروف بأصول البزدوي توفي سنة ٤٨٢هـ . (سير أعلام النبلاء : ١٨/٦٠٢) (الجواهر المضيئة : ١/٢٧٢) (الفوائد البهية : ص/٥٢) .

(١) هو الإمام محمد بن محمد بن عمر الأخسيكثي الحنفي أبو عبد الله حسام الدين . كان إماماً في الفروع والأصول له المختصر في أصول الفقه ، المعروف بالمنتخب الحسامي ، تفقه عليه محمد بن عمر النوحاباذي ومحمد بن محمد البخاري توفي سنة ٦٤٤هـ . (الجواهر المضيئة : ٢/١٢٠) (الفوائد البهية : ص/١٨٨) .

(٢) هو الإمام العلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود الكمال بن همام الدين السيواسي ثم الاسكندري المعروف بابن الهمام الحنفي (٧٩٠-٨٤١هـ) أخذ عن السراج والقاضي محب الدين ابن الشحنة وأبي زرعة ابن العراقي وغيرهم حتى فاق أقرانه وبرع في العلوم وتصدى لنشرها ، فانتفع به خلق ، كان ماهراً في الفقه والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان ، محققاً جدلياً ، أفتى برهة من الزمان ثم تركها ودرس الفقه ثم تركه وجاور بالحرمين ، له مصنفات بديعة نافعة منها ، « فتح القدير للعاجز الفقير» شرح الهداية ، (الضوء اللامع : ٨/١٢٧) (شذرات الذهب : ٧/٢٩٨) .

(٣) هو الشيخ العلامة محب الله بن عبد الشكور العثماني الصديقي الحنفي البهاري الهندي أحد الأذكياء المشهورين ، قرأ بعض الكتب الدرسية على الشيخ قطب الدين الأنصاري وأكثرها على الشيخ قطب الدين الحسيني الشمس آبادي ، ثم رحل إلى معسكر السلطان عالمگير فولاه القضاء بمدينة لكناؤ ثم نقله >>>

والمؤلفون وتناولوه بالشرح والتعليق ، وقد شغل هذا الكتاب أذكى علماء البلاد وأبرعهم أكثر من قرن ، وبلغ عدد شروحه ، وتعليقاته التي اشتهرت بين الناس ثمانية شروح على ما جاء في كتاب (الثقافة الإسلامية في الهند) للعلامة السيد عبد الحي الحسني (١) وكان ذلك طبيعياً ومعقولاً ومما اقتضته طبيعة اختلاف المذاهب وطبيعة العلم والبحث .

إن هذه الحركة العلمية القوية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي واستمرت إلى عهد قريب وظهرت ،شكل خاص في مجال شروح الحديث وكتب التفسير وأصول الفقه ، أفادت النشاط العقلي والعلمي في العالم الإسلامي إفادة كبيرة لأنها مخضت المكتبة الإسلامية الدينية وغربلتها غربلة ونخلت كتب الحديث والرجال وعلى الأصول ، للاحتجاج لما يراها المؤلفون وعلماء المذاهب من الآراء الفقهية من الكتاب والسنة والحديث الصحيح وإقامة الدليل والبرهان عليه ، فلم يبق جانب من جوانب الحديث النبوي وما يتصل به من علوم ومقدمات إلا وكشف عنه ، ولا موضوع له نسب قريب أو بعيد بالسنة وآيات الأحكام إلا وبحث ودرس ونوقش واستعملت العقول في ذلك إلى أقصى حدودها ، فكان كل ذلك مما يعود على الشريعة الإسلامية بالنفع ، وتكونت هذه المكتبة الدينية التي لا تظهر لها في الملل والأمم . [يتبع]

>> بعد مدة إلى حيدرآباد ثم عزله عن القضاء وجعله معلماً لحفيده رفيع القدر ولما ولي شاه عالم ولاه الصدارة العظمى ولقبه (فاضل جاه)

من مصنفاته (سلم العلوم) في المنطق و (مسلم الثبوت) في أصول الفقه مقبولة متداولة في المدارس والعلماء ، توفي سنة ١١١٩هـ . (نزهة الخواطر : ٦/١٥٢).

(١) مضت ترجمته

أسباب الغزو الفكري

[الحلقة الرابعة]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

رابعاً : الضعف الفكري ، والتفكك الاجتماعي :

لقد أصيب المجتمع الإسلامي بالضعف الفكري ، والتفكك الاجتماعي ، وذاق من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر والضعف الفكري ، ما أصيبت به أمة من الأمم ، أو مجتمع من المجتمعات ، إلا كانت الحالة ، انحطاطاً في التفكير ، واهتماماً بالخرافات والأساطير .

والتفكك الاجتماعي نتيجة حتمية للضعف الفكري ، لأن الضعف الفكري لا يكشف للإنسان مخاطر الانزلاق في الهاوية ، ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة ، والمذهبية التعصبية ، وتعدد السلطنات والدويلات التي قامت على أساس شعوبي أو مذهبي ، في هذا المجتمع أو ذاك .

وهذا كله جر المجتمع الإسلامي إلى فوضى قاتلة ، وتناحر حقيقي ، وسلب ونهب وقتل دون رادع أو وازع .. ومجتمع كهذا لا بد وأن يتعرض لسيطرة المتربصين به ، لقد كانت السلطة السياسية في المجتمعات الإسلامية تعيش في وضع مقلوب « وفي ذلك الوضع لابد أن تكتمل الصورة المقيتة لأي إمبراطورية على وشك السقوط ، بغض النظر عن اللافتة التي ترفعها ، سواء كانت إمبراطورية فارسية ، أو بيزنطية ، أو رومانية ، أو عباسية .. لابد أن تتفشى الرشوة ، وتكثر مصادرة الأموال ،

وتتفاقم الاضطرابات الداخلية، مع الانحلال الخلقي ، والانشغال بالتوافه عن الخطر الذي يدق الأبواب » (١) .

وأساس انهيار الأمم من الداخل ، وقد يأتي تدخل خارجي ليعجل بالسقوط ، ولكن يظل الانهيار الداخلي هو بداية النهاية وعاملها الأكبر ، ويأتي الانهيار الداخلي حين تتكون طبقة مترفة تتحكم في الثروة ، وفي الجماهير ، فتنشر الظلم ، والانحلال ، وتحيل حياة الأكثرية إلى جحيم تهون فيه الحياة (٢)

لاشك أن الأمة الإسلامية عاشت فترات من حياتها ، كانت سبباً في تأخرها وغفلتها ، وطمع الطامعين في مجتمعاتها .

وأي أمة تضعف في أفكارها ، ولا تعرف إلا القشور من أمرها ، وتعيش في تناحر وتمزق ، لابد وأن تسقط، وينال منها من كان يهابها.

خامساً : تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة :

إن المجتمعات الإسلامية : حين أصابها الضعف الفكري ، والتفكك الاجتماعي ، انشغلت بالتافه من الأمور ، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم ، والتقدم ، والحضارة .. ومعنى هذا ، أن المجتمعات الإسلامية انصرفت عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العلم ، والمعرفة ، واستعمال العقل ، والفكر ، في كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم " و واكب هذا الانصراف انحطاط في القيم ، ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال ، إلى حد السفه ، والجنون ، والترف ، والفجور حتى كان قواد هذا الركب في كل ناد، وكل صحيفة، مع جهل ضارب ، ونفاق ناشب أظفاره ، وفساد في كل مجتمع وناد ، وتصارع على كل تافه

(١) انظر الشيخ محمد الغزالي ، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ص/١١٠ . طبع دار الشروق ، بيروت .
(٢) راجع المصدر السابق : ص/١١٢ .

وخسيس من المادة، وخراب للذمم، وبيع للشرف ، وكره للقيم ، وضياع للحق ، وهضم للحقوق ، وذبح للفضيلة » (١) .

وكان وضع البلاد الإسلامية كما صوره شاعر تركيا الإسلامي الكبير محمد عاكف : « يسألني الناس أنك كنت في الشرق مدة طويلة ، فما الذي شهدت يا ترى ، وما عسى أن يكون جوابي ؟ إنني أقول لهم : إنني رأيت الشرق من أقصاه ، فما رأيت إلا قرى مقفرة ، وشعوباً لا راعي لها ، وجسوراً متهدمة ، وأنهاراً معطلة ، وشوارع موحشة ، رأيت وجوهاً هزيلة متجعدة ، وظهوراً منحنية ، ورؤساً فارغة ، وقلوباً جامدة ، وعقولاً منحرفة .

رأيت الظلم ، والعبودية ، والبؤس ، والشقاء ، والرياء ، والفواحش المنكرة المكروهة ، والأمراض الفاشية الكثيرة ، والغابات المحرقة ، والمواقد المنطفئة الباردة ، والحقول السبخة القاحلة ، والصور المقززة ، والأيادي المعطلة ، والأرجل المشلولة ..

رأيت أئمة لا تابع لهم ، ورأيت أخا يعادي أخاه ، ورأيت نهاراً لا غاية له ، ولا هدف ، ورأيت ليالي حالكة طويلة ، لا يعقبها صباح مسفر ، ونهار مشرق » (٢) .

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس ، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق في الشعوب الإسلامية ، وجعلها تعتمد في كل شئ على غيرها ، إن التخلف العقلي لا يمكن في عدم الذهاب إلى الجامعات ، واكتساب المعارف فقط ، بقدر ما يمكن في التبلد ، والخمول ، والنوم ، والرضاء بالدون ، وموت الهمة .. (٣) .

---

(١) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية : ص/٦٩٦ .

(٢) راجع المصدر السابق : ص/٦٩٦ ، وانظر أبو الحسن الندوي ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : ص/٣٥ .

(٣) انظر : الدكتور توفيق الواعي ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة الغربية : ص/٦٩٨ .

ومن المؤكد أن الأمة التي تفضل أو ترضى بالتواكل ، والاستجداء ، والكسل ، والتبعية ، أمة لا تستحق الحياة الكريمة ، والحياة الحرة الكريمة لا تتأتي لأمة دون ثمن ، والثمن هو التضحية ، ولا يتأتي لأمة أن تشق طريقها في الحياة ، وأن تستعيد وجودها وكرامتها ، وتعيد صنع حياتها ، دون أن تحاول جاهدة أن تبني نفسها بناءً يتفق مع الاعتداد بالذات ..

وقد يكون من المسلمات البديهة : أن ضعف الأمة في جوهره وجذوره ، ليس ضعفاً في قوة الدفاع ، أو في القوة العسكرية ، وإنما يكمن في ذل النفوس ، وشعورها بالضعف .

وقد يكون من المسلمات البديهية أيضاً : أن فقر الأمة في جوهره وجذوره ليس فقراً في السلاح والمعدات ، أو فقراً في المال والإمكانات ، وإنما يكمن في فقر النفوس وعجزها ، وضعف الإرادة واضطرابها .. (١).

فالتخلف عن ركب التقدم والحضارة ، يعود بالمجتمعات الإسلامية إلى الانحطاط ، ويقودها طواعية إلى الهلاك كما تقاد الشاة إلى حتفها بظلفها، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكري الذي اجتاح البلاد والعباد ..

سادساً : الفراغ العقدي :

من المؤكد لدى الباحثين ، أن العقيدة هي الأمر الذي تثق به النفس ، ويطمئن إليه القلب ، ويكون يقيناً عند صاحبه ، ولا يمازجه شك فيه ، ولا يخالطه ريب ، ويذكر العقاد : أننا نعني بالعقيدة الدينية طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، إنما نعني بها حاجة النفس ، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات ، و من فرغ من العلم و المراجعة ،

---

(١) انظر : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح ، معارك حاسمة في حياة المسلمين : ص/١٥٤-١٥٥ ، طبع دار اللواء بالسعودية ١٤٠٩هـ .

ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره، إنما نعني بها ما يملأ الرءوس أو الصفحات (١).

إن العقيدة التي يصح أو توصف بالعقيدة الدينية، هي التي لا يستغني عنها من وجدها، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها، ولا يرفضها من اعتصم منها، بمعتصم، واستقر فيها على قرار (٢).

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم، تناولت معضلات الحياة، إن من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان، ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيراً من المفكرين (٣).

والحقيقة التي أثبتها مئات السنين الحافلة بالأحداث، والخطوب، والمحن، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الشاملة، والعقيدة المثلى للإنسان، والمجتمع، رعاية للروح والجسد، وعمل للدنيا والآخرة، وجهاد في السلم والحرب، و تنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم.

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة .. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وتطهر نفسه .. وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك، ويترفع وينهض ..

فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح، تحوله يميناً وشمالاً فلا يسكن له حال، ولا يستقر له قرار، وليس له جذور تثبته (٤).

---

(١) عباس محمود العقاد، العقائد و المذاهب مجلد رقم ١١، ص/٤٠٢، طبع دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٢) المصدر السابق: ص/٤٢١.

(٣) انظر: الدكتور أحمد السايح، عباس محمود العقاد، فيلسوفاً، رسالة (ماجستير) ص/١٦٦.

(٤) انظر: محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية: ص/٢٥٧، طبع مكتبة المنار، الأردن، وانظر كذلك الدكتور أحمد السايح، العقيدة والإنسان، مجلة الخفجي، السنة العشرون، العدد الأول، ص/٤-٥، أبريل ١٩٩٠م السعودية، وانظر: كذلك أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص/٢١٨، طبع دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ.

والعقائد في الأمم تقف سدوداً بينها وبين الأفكار الوافدة، أو المذاهب المقتحمة، وتعطي أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد، كما تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان في الحياة، أما إذا تركت الأمم عقائدها، وتخلفت عن غذائها الروحي، وعن عمقها الإيماني (١)، فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب ..

والباحث في أحوال الشعوب الإسلامية: يجد أنها لم تحسن التخطيط، ولم تستفد من الدروس، فانطلقت في سبيل الشهوات و الملذات، والطوائف، والاختلاف، وتركت تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الفكر، والعلم، والحضارة .. فكان ما كان ..

لقد اتضح لنا، أن (الغزو الفكري) الذي تعرضت له، شعوب الأمة الإسلامية ولا زالت تتعرض، قام على أسباب وبواعث، دفعت بالغزو الفكري إلى تكالب مسعور، وكان في الإمكان أن ترد الهجمة الشرسة، ولكن كانت هناك عوامل تنتشر في المجتمعات الإسلامية، ساعدت على توغل الغزو الفكري، وانتشاره بين الناس.

وقد سبق أن - ذكرنا - أن من عوامل وأسباب (الغزو الفكري):

= العداء الصليبي للإسلام والمسلمين.

= الاستعمار الغربي الذي أصاب بعض المجتمعات الإسلامية.

= تقدم الغرب العلمي.

= الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي الذي أصاب المسلمين.

= الفراغ العقدي الذي دلت عليه سلوكيات المسلمين.

وقد تكون هناك أسباب أخرى:

داخلية أو خارجية، عملت على تمزيق الأمة الإسلامية وقتل روح الأصالة فيها والتجديد، والقدرة على مواجهة التحدي.

ولا يخفى أن التعرف على الأسباب، قد يدفع بالعلماء، وقادة الفكر إلى تشخيص الداء، وبذل الدواء، وإذا عرف التحدي أمكنت المواجهة، وإذا كانت معرفة أسباب الغزو الفكري، تقف بالمسلمين على محطات انطلاق، فإن معرفة مظاهر الغزو الفكري، تساعد على التبصر بالمواقع والمواقف.

[يتبع]

---

(١) الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية: ص/٧٠١-٧٠٢.

الدعوة الإسلامية :

الإسلام والمستقبل

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد عبد الستار نصار
الأستاذ بقسم العقيدة والأديان - كلية الشريعة - جامعة قطر +

أزمة الحضارة المعاصرة :

تعاني الحضارة المعاصرة من قلق واضطراب ، على الرغم من توافر كل وسائل الرفاهية والراحة للإنسان الذي يعيش في ظلها ، ويرجع السبب في ذلك - كما يرى المنصفون من فلاسفة الحضارة إلى أنها عالجت في الإنسان جانباً واحداً فقط ، وهو جانبه المادي ، وأما أشواقه الروحية ومطالبه الداخلية فلم تدخل ذلك في حسبانها ولا في برامجها ، إنها لبت لإنسان هذا العصر ما يغذي قشرته الخارجية وهيكله الظاهر ، فجعلت العالم كله تحت سمعه وبصره ، يمكنه أن يتصل بأقصى الشرق في ثوان وهو في أقصى الغرب ، ويمكنه كذلك أن يرى - على بعد الشقة - صور الأقمار الصناعية ومركبات الفضاء ، وهي تنطلق من قواعدها ، ويعرف محصول رحلاتها في أثناء دورانها أولاً بأول بفضل اتصالها بمحطاتها الأرضية ، وإذاعة ذلك عن طريق وكالات الأنباء عبر وسائلها المتقدمة ، هذا فضلاً عن الأحداث اليومية العادية وغير العادية التي يعرفها العالم كله بعد وقوعها مباشرة .

إن إنسان هذه الحضارة قد عز عليه أن يخدمه إنسان مثله ، فقدمت له

+ ورئيس تحرير حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،
(قطر - الدوحة ، ص. ب ٢٧١٢)

حضارته إنساناً آلياً ليقوم بهذا الدور ، وأصبحت تخدمه في الفنادق ودور المال والمؤسسات العامة ، مجموعة من الأزرة ، توفر له المعلومات التي يريدها في نفس الوقت الذي يطلبها فيه ، وباختصار : قد وفرت له هذه الحضارة كثيراً من الوقت والراحة ، وقد استغل هذا الوقت في التفكير في مزيد من الرفاهية ، واطرد مع وقته المتوفر هذا ، الإيغال في رفاهية أكثر ، وبالضرورة وقت أكثر وهكذا ، حتى غدا يلهث في سيره ، وهو في نفس الوقت لا يدرك لذاته هدفاً محدداً وراء حركته الآلية في خطها المادي ، ولا يعرف لنفسه غاية قصوى سوى ما هو فيه من إشباع لرغباته ومطالبه في صورتها الحيوانية ، إنه لم يدرك سر وجوده ، والهدف من حياته وكل ما ساقته له الأديان - اليهود والمسيحية ، وغيرها من الديانات الوضعية - في هذا السبيل ، إنما كان مزيجاً من تصورات ممثليها مع تحريفات وتبديلات لها ، لأهداف معينة مقصودة ، وكل ما أفرزته الأيديولوجيات لم يكن لصالحه ، بل كان أشبه بالغذاء الذي يضر بالصحة أكثر مما يصلحها .

في هذا الجو الذي يعبق بدخان المصانع وما تفرزه من نفايات ، وضجيج الصيحات والآراء والمذاهب وما تحدثه من قلق واضطراب يعيش إنسان العصر فارغ النفس من المعاني والقيم العليا خالي الوفاض من الإيمان بحقائق هذا الوجود ، وخالق هذا الوجود ومدبره ، لم يسعفه من الخلاص مما هو فيه إلا إمعان أكثر في حياته المادية ، شأنه في ذلك شأن من قال : وداوني بالتي كانت هي الداء ، أو تصرفات شاذة عابثة يثبت بها ذاته المفقودة ، أو يكون مصيره المصحات النفسية والعقلية ، وقد يكون العلاج الحاسم لدى بعضهم هو التخلص من هذه الحياة جميعها ، وذلك

بالانتحار ، لإحساسه بأن الراحة كل الراحة في ذلك ، وقد دلت الإحصاءات أن نسبة الانتحار تطرد مع نسبة الإلحاد والزيغ ، وأن البلاد التي تنتشر فيها هذه الظاهرة هي التي لا يكون للدين فيها أثر يذكر ، ويضرب المثل بالسويد كدليل على ذلك .

إن هذا الإفلاس في الجانب الروحي الذي تعاني منه الحضارة المعاصرة ، ليس له علاج إلا بالإسلام ، ذلك الدين القيم ، الذي عالج مطالب الإنسانية بتعادل واتزان ، فلم يغفل مطالبه المادية بجانب أشواقه الروحية ، ولم يعل من شأن الفرد على حساب الجماعة ، ولا من شأن الجماعة على حساب الفرد ، ولم يغفل إرادة الإنسان وحريته واختياره وتأمله وتدبره وعواطفه وآماله ، تجاه المواقف والأحداث ، ونظر إلى الإنسان نظرة كلية ، تضعه في الموضع الصحيح الذي أراده الله ، فحدد مركزه في الكون ، وهدفه من هذا الوجود كما حدد له مصيره ، وباختصار وضع له الإطار العام الذي يتحرك في داخله ، ذلك الذي جاء به هذا الدين بما بين من أوامر واجبة الاتباع ، معللة بصلاح الإنسان في الدنيا والآخرة ، وبما نهي عن أشياء في اتباعها المفسدة والمضرة في الدنيا والآخرة كذلك .

الإسلام هو العلاج :

إن الإسلام هو ذلك العلاج الذي يداوي جراح البشرية ، ويرأب ما اعتراها من تصدع ، ويربط ما حدث لها من تفكك ، وحسبه أنه الذي حدد بوضوح ، وحدة الأصل الإنساني ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ (أول سورة النساء) ، كما أجاب بجلاء على هذه الأسئلة التي ظلت ولا تزال موضع حيرة الفلاسفة والمفكرين ، وهي : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟ فقرر أن الله سبحانه هو رب هذا الوجود وخالقه ﴿ ذلكم

الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئٍ وكيل ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ١٠٢) ، كما قرر أن وجود الإنسان وخلقه ليس أمراً عفوياً ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥-١١٦) ، كما ذكرنا برسالة الإنسان ومهمته في هذا الوجود ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٣٠) ، ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ (سورة هود ، الآية : ٦١) ، ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (سورة الذاريات ، الآية : ٥٦) .

المستقبل للإسلام :

إن المستقبل لهذا الدين ، بما يملك من وسائل العلاج وعوامل النجاح لأمراض البشرية التي خلفتها الحضارة المعاصرة ، متى أحسن دعاته عرضه والدعوة إليه بما رسمه الله من منهج ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن .. ﴾ (سورة النحل ، الآية : ١٢٥) .

وليس ما انتهينا إليه من حكم لصالح هذا الدين ، وسيادته في دنيا المستقبل ، أمراً ناشئاً عن عاطفة مشبوبة ، تتجاوب بها جوانب مؤمن متحمس ، بل إنه يخضع للتحليل العلمي الذي يفرضه المنهج الصحيح ، ونؤسس حكمنا هذا على أمرين واضحين :

الأمر الأول : طبيعة الإسلام .

الأمر الثاني : الواقع الذي آل إليه أمر البشرية اليوم .

فأما الأول : فلأن الإسلام هو ذلك الدين الذي اختاره الحق سبحانه وتعالى ليكمل به الرسالات السابقة ، وما عسى أن يكون قد تجاوزته من

أحكام خضوعاً لسنة التدرج الإلهي حين تتعامل ضوابطه وأحكامه مع البشر . وإذا كان هذا شأن الإسلام مع ذاته في بعض قضايا التشريع التي عرفنا منها أن الحكم النهائي فيها ، كان مسبوقاً بما يمكن أن يسمى بالأحكام المؤقتة - وقصة تحريم الخمر أكبر مثل على ذلك - فإن نفس المبدأ ينسحب على الأديان كلها ، وعلاقة سابقها بلاحقها ، إنها أشبه ما تكون بدوائر متداخلة ، يشمل أكبرها أصغرها ، وكان الإسلام هو ذلك الدين الذي استوعب كل ما جاءت به الأديان السماوية السابقة عليه من أحكام ، وزاد عليها كل ما يمكن أن تطيقه البشرية إلى أن تقوم الساعة ، بعد أن بلغت بمجيئة ذروة نضجها النفسي والعقلي .. وفي النهاية يمكن أن نقف عند ذلك التعبير الموحي ، الذي تضمنته الآية الكريمة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإنسان ديناً ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٣) ، وأعني بذلك قوله : (رضيت) فدين رضيه الله للبشرية ليكون آخر اتصال للسماء بالأرض في سلسلة الاتصالات التي بدأت بأول الأنبياء إلى خاتمهم ، لا نفهم منه إلا أن يكون النموذج النهائي الذي يقود البشرية إلى الخير ، وقاية وعلاجاً ، متى تعاملت معه بالمنهج الذي يرضاه ، وهو ذلك الذي يفهم طبيعته على وجه صحيح ، لا إفراط فيه ولا تفريط .

إن القرآن الكريم قد بين لنا أن ما جاءنا به من عند الله ، إنما هو بصائر نيرات ﴿ هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٣) ، ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (سورة يونس الآية :

٥٧-٥٨) ، ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ٨٢) ، ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٤٥-٤٧) ، إلى غير ذلك من الآيات التي تبرز طبيعة هذا الدين وهي أنه المنهاج الذي يقود الناس إلى طريق الخير والفلاح ، متى آمنوا به حقاً وطبقوه صدقاً .

وعد لا يتخلف : ثم إن القرآن الكريم - فضلاً عن إبراز طبيعة هذا الدين ، التي توحي بالآمال العراض في مستقبله - يوقفنا أمام وعد من الله تبارك وتعالى - ووعده لا يتخلف - لأنه لا يخلف وعده بصريح قوله تعالى : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (سورة الروم ، الآية : ٦) ، لعباده المؤمنين العاملين للصالحات بأن يستخلفهم في الأرض وأن يمكن لهم الدين الذي ارتضاه لهم وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (سورة النور، الآية : ٥٥) .

إنه وعد مشروط التنفيذ ، بسببين واضحين : الإيمان الصادق ، والعمل الصالح ، وأحسبني أفهم من هذا أن الحق تبارك وتعالى ، الذي أقام الوجود كله على قانون الأسباب والمسببات أراد - بهذا الشرط - ألا تغيب هذه الحقيقة عنا نحن المسلمين ، حتى نكون أهلاً لاستحقاق

الاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين ، حتى إذا استبطأنا ذلك ، بحثنا عن الأسباب في داخلنا ، وهذه النتيجة تنسحب على حياة المؤمنين في كل عصر ومصر، وأعتقد أن تاريخ الحضارة الإسلامية يمكن أن يشكل الواقع التاريخي الحي المشاهد ، بما تنطق به أوثق المصادر ، على صحة القضية .

إنه في منطق العقل الظاهر أن تكون القدرة المطلقة والإرادة العامة -وهما من صفات الحق سبحانه وتعالى - لا يعجزهما أن تديلا دولة الباطل لتقوم مكانها دولة الحق ، دون توقف على سبب أو أسباب ، ولكن العقل سرعان ما يستدرك على نفسه حتى يعقل العلاقة الصحيحة كما أراد الله سبحانه وتعالى ، فكما أن النتائج لا تأتي إلا بعد المقدمات ، والأعمال العظيمة لا تثمر إلا ثماراً باهرة ، فكذلك النصر أو الهزيمة ، إنه الابتلاء الذي يصهر النفوس كما تصهر المعادن ليعرف نقيها من خبيثها ، وأصيلها من مزيفها ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ (سورة محمد، الآية : ٣١)، ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية : ٢) ، ومن ثم فالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين ليحكم حركة الحياة يتوقفان على أسباب فينا نحن المسلمين ، والواقع يؤهلنا لذلك كما سنبين الآن .

واقع البشرية اليوم : وهذا ثاني الأمرين ذكرناهما قبلاً ، إنه واقع مؤسف حزين ، بعد أن تنكبت البشرية الطريق الصحيح ، الذي يهدي خطوها ويبارك مسيرها ، ويدفعها إلى استشراف حياة إنسانية رفيعة ، لقد خبر فلاسفتها ومفكروها طبيعة الدينين اللذين يملك أتباعهما من

وسائل الدعاية والإعلان لهما الشئ الكثير الكثير، وأعني بهما : اليهودية والمسيحية، على اعتبار أنهما الدينان اللذان يلامسان العقول والممارسات في بلاد الغرب في يوم الناس هذا ، بعد أن صور الإسلام على غير صورته بأقلام أعدائه في الداخل والخارج ، حتى غدا في نظر الكثير في بلاد الغرب قرين التخلف والرجعية ، وكانت النتائج التي توصل إليها هؤلاء المفكرون أن هذين الدينين أصبحا لا يملكان من عوامل التأثير على العقول والنفوس شيئاً ، بعد تصادمهما مع العقل والفطرة ، وامتلائهما بكثير من الخرافات التي لا يقبلها العقل ، مما يتأكد معه أن قضية التحريف والتبديل التي أشار إليها القرآن الكريم لمصدريهما - التوراة والانجيل - أصبحت أمراً فوق الشك ، بل إن بعض الباحثين قد انتهى إلى نتيجة خطيرة جداً ، وهي الشك في وجود هذين الدينين أصلاً ، ويستشهد على ذلك ببعض القضايا الرئيسية فيهما ، مثل قضية تمييز العنصر اليهودي عن غيره من العناصر البشرية الأخرى - في اليهودية - وقضية الخطيئة الكبرى - في المسيحية - إلى غير ذلك ..

لقد انتهى المفكرون الغربيون في هذا العصر إلى الاعتقاد فيما يسمى لديهم بالدين الطبيعي كرد فعل لعوز العقول والنفوس إلى دين تقوم مبادؤه ونظمه على أسس ترضى العقول والنفوس والأفراد والجماعات والحكام والمحكومين كما ترضى مطالب الإنسان الروحية والمادية بنظام لا يطغى فيه جانب على آخر (١) .

ونحن واثقون كل الثقة ، بأن تلك المطالب لن تكون إلا في الإسلام ،

---

(١) يقرأ كتاب (عقائد المفكرين في القرن العشرين) للكاتب المعروف عباس محمود العقاد ، ففيه بحوث ممتعة في هذه القضية

ذلك الدين الذي جاء لصالح الإنسان من حيث هو ، بغض النظر عن لونه وجنسه ومركزه الاجتماعي ، إنه - كما نعرف ويعرف المنصفون جميعاً - مجموعة من العقائد والنظم والتشريعات الإلهية ، لا تزال وستظل موصولة بمصدرها الأول - الله رب العالمين - كما جاء بها قرآنه الكريم وبينتها السنة المطهرة ، وجسدها الأطهار الأبرار من أتباع هذا الدين ، وهذه ميزة لم تتوفر لدين سماوي من قبل ، فضلاً عن الديانات الوضعية ، أن تكون التشريعات فيها موصولة بمصدرها الأول ، ثم إن الإضافات التي أملتها ظروف التطورات الاجتماعية مما نطلق عليه (الاجتهاد) إنها أيضاً ثمرة من ثمار فهم هذا الدين لدى المؤهلين لذلك ، الذين تجمعت فيهم شرائط الاجتهاد بالمعنى العلمي ، والذين دارت اجتهاداتهم في حدود فهم للنصوص الصحيحة الثابتة .

تلك هي ضوابط مؤهلة للإسلام كي يقود المستقبل ، كما قاد الماضي ، ولكن بنفس الشروط التي ذكرناها ، وهي التي أقام الله سبحانه وتعالى عليها قانون الوجود كله ، الأسباب التي تؤثر في النتائج والأسباب هنا واضحة ، هي : إيمان واثق يملأ النفوس والقلوب و المشاعر و الأفئدة ويعمر جوانب الإنسان المسلم بضياء الإسلام ، فيدفعه إلى العمل الصالح ، الذي تزدهر به الحياة ، عند ذلك سيشعر العطشى إلى حياة هانئة سعيدة بأن الإسلام هو طريق الخلاص ومفازة النجاة ..

يقول الله عزوجل : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (سورة الأنعام : الآية : ١٥٣) .

.....

الرابطة الإسلامية هي أعظم الوسائل التي تربط بين المسلمين

بقلم : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام : إدارات البحوث العلمية الإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد ! فإن الأخوة الدينية بين الشعوب الإسلامية هي أقوى الوشائج والروابط التي تشد الأمة وتؤلف بينها لتكون قوية متماسكة في وجوه أعدائها المتربصين بها من الكفار والمنافقين ، وهذه النعمة - نعمة - التألف بين قلوب المسلمين والتي امتن الله بها على نبيه ﷺ في قوله سبحانه : ﴿ هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيزٌ حكيمٌ ﴾ وامتن بها على المسلمين جميعاً رجالاً ونساءً في قوله عزوجل : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيزٌ حكيمٌ ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ وفي قول النبي ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يكذبه ولا يخذله التقوى هاهنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه الإمام مسلم في صحيحه والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وهذه النعمة العظيمة قد ضاق بها أعداء الإسلام وعملوا جاهدين لتفكيك أواصر الأمة وزرع أسباب الفرقة والتنازع بينهم لتذهب ريح الأمة وقوتها وليسهل إذلالها وقهرها والسيطرة عليها وكما يقولون - فرق تسد - .

ومن أقوى وسائل الأعداء في هذا العصر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية وما تبثه من الأخبار الكاذبة والمحرفة التي تزرع الشر والفتن وأسباب الكراهية والحقد والفرقة بين المسلمين .

ومن أهم الواجبات على المسلمين جميعاً لا سيما العلماء ورجال الإعلام المنصفين التصدى لهذه الحملات الحاقدة التي تستغل الأحداث لإثارة الشكوك وإزالة الثقة بين المسلمين أفراداً وجماعات حكاماً ومحكومين .

ومما يلاحظ في هذا العام بشكل خاص أن وكالات الأنباء العالمية ومراكز الاستخبارات الأجنبية التابعة للحكومات الكافرة ولمراكز التوجيه النصراني والمأسوني كلها تخطط بأسلوب ماكر لإثارة العالم كله ضد ما يسمونه : « الأصوليين » وهم يقصدون بذك الذم والقدح في المسلمين المتمسكين بالإسلام على أصوله الصحيحة الذين يرفضون مسايرة الأهواء والتقارب بين الثقافات والأديان الباطلة ، وقد وقع بعض الإعلاميين المسلمين في مصيدة الأعداء وأخذوا ينقلون تلك الأخبار المعادية للإسلام وأصبحوا يتداولونها عن جهل بمقاصد أصحابها أو غرض في نفوس بعضهم ، فكانوا بفعلهم هذا أعواناً للأعداء على الإسلام والمسلمين بدلاً من قيامهم بواجب التصدى لأعداء الإسلام وإبطال كيدهم ببيان أهمية الرابطة الدينية والأخوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية وأن الأخطاء الفردية التي لا يسلم منها أحد لا ينبغي أن تكون مبرراً للتشنيع على الإسلام والمسلمين والتفريق بينهم .

ولهذا رايت تحرير هذه الكلمة الموجزة نصيحة للمسلمين جميعاً من الإعلاميين وغيرهم في الدول الإسلامية وغيرها ، وتحذيراً للجميع من مكائد الأعداء من الكافرين والمنافقين والسائرين على نهجهم ، وأن يصونوا الإعلام الإسلامي المقروء والمسموع والمرئى من أن يكون وسيلة للتشكيك في الإسلام والدعاة إليه وأن يستخدم للتفريق بين علماء الأمة وشعوبها والناصحين لها وغرس أسباب الشحناء والتباغض بين حكامها ومحكوميها وعلمائها وعامتها ، وأن يبذلوا كل ما يستطيون في التقريب بين المسلمين وجمع كلمتهم ودعوتهم حكاماً ومحكومين للتمسك بدينهم والاستقامة عليه وتحكيم شريعة الله في عباده والتواصى بذلك والتعاون عليه بالأساليب الحسنة والنصيحة الخالصة والعمل الصالح الدائب والسيرة الحميدة والتعاون في ذلك عملاً بقول الله عزوجل : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب﴾ وقوله سبحانه : ﴿ والعصر• إن الإنسان لفي خسر• إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق • وتواصوا بالصبر﴾ وقول النبي ﷺ : « الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله ، قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم في صحيحه .

و لما روى جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال : « بايعت النبي ﷺ على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » متفق على صحته .

كما أوصى العلماء وجميع الدعاة وأنصار الحق أن يتجنبوا المسيرات والمظاهرات التي تضر الدعوة ولا تنفعها وتفرق ولا تجمع وتسبب الفرقة بين المسلمين والفتنة بين الحكام والمحكومين وإنما الواجب سلوك السبيل الموصلة إلى الحق واستعمال الوسائل التي تنفع

ولا تضر وتجمع ولا تفرق وتنشر الدعوة بين المسلمين وتبين لهم ما يجب عليهم بالكتابات والأشرطة المفيدة والمحاضرات النافعة وخطب الجمع الهادفة التي توضح الحق وتدعو إليه وتبين الباطل وتحذر منه مع الزيارات المفيدة للحكام والمسئولين والمناصحة كتابة أو مشافهة بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن عملاً بقول الله عزوجل في وصف نبيه محمد ﷺ : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك » الآية وقوله عزوجل لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما أرسلهما إلى فرعون : ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ وقول النبي ﷺ : « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وتطاوعوا ولا تختلفوا » وقوله ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانة » وقوله ﷺ : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله» وكل هذه الأحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ ، وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ انه قال : « أللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ، اللهم من ولي من أمر امتي شيئاً فشق عليهم فاشفق عليه » والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

والله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً ويجمع كلمتهم على الحق وأن يصلح قادتهم وولاة أمرهم ويوفقهم لتحكيم شريعته والرضا بها وإيثارها على ما سواها ، وأن ينصر بهم دينه ويعلى بهم كلمته وأن يعينهم على كل ما فيه صلاح أمور دينهم ودنياهم وعلى كل ما فيه سعادتهم وسعادة شعوبهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة وأن يوفق علماء المسلمين ودعاة الإسلام لأداء ما يجب عليهم على الوجه الذي يرضيه ، وأن يبارك في جهودهم وينصر بهم الحق ويعينهم على كل ما فيه صلاح العباد والبلاد إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الابتلاء والاختبار

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة (البحوث الإسلامية) الرياض

يمتحن الله النفوس بالمصائب ، ويختبر نقاوة جوهرها بالفتن ، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ، وحتى يبين نفاسة المعدن بقدرة تحمله الشدائد ، وثباته في مصارعة الأحداث والصبر على البلوي،ذلك أن من سنن الله الكونية ، وحكمته سبحانه النافذة ، أن يكون الابتلاء للنفوس قاعدة أساسية يبرز به الجوهر ، ومحكاً متميزاً تصقل به النفوس ، ليبرز إيمانها ، ويقوى صبرها وتحملها ، حيث يقول جلت قدرته في مطلع سورة العنكبوت : ﴿ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (سورة العنكبوت ، الآيات : ١-٣) .

وما ذلك إلا أن دلالة الفتنة ، التي وردت بمشتقاتها في كتاب الله ما يقرب من ستين مرة ، تعنى ابتلاء للنفس ، وامتحاناً لصراعها الباطني ، بين حق يجب الخضوع له ، والانقياد لما يدعو إليه ، لأنه من عند الله ، ودعت إليه رسل الله ، وبين باطل يجب البعد عنه ، والحذر مما يدعو إليه ، لأنه منهج عدو الله الشيطان ، ويدعو إليه أعوانه بالمغريات والتلبيس ، والطريق الأول محفوف بالمكاره ، والثاني محاط بالشهوات .

ولكي تتميز النفوس في حسن الاتجاه والقناعة والرضاء حتى تنقاد لأحد الطريقين المشار إليهما ، عن معرفة وحسن إدراك ، فإن الابتلاء هو المنعرج الذي تمتحن به النفوس ، والأساس الذي يتميز به قدرة هذا المبنى على التحمل .

ذلك أن الإيمان ليس بالتمنى ولا بالتحلى ، ولكنه عقيدة وعمل .. يؤصل هذه العقيدة مواقف ، ويمكن منهج العمل أدوار .. وقد وصفت الآيات السابقات من سورة الروم صوراً على الطريق ومعالم يسترشد بها من يريد الوصول إلى الحق ، فقد أوضحت أن الأماني لا تحقق الغايات ، وأن سنة الله الماضية في البشرية في كل عصر ومصر ، تقتضى عدم تركهم لادعاءات ألسنتهم ، حيث يساق إليهم ما تمتحن به تلك الإدعاءات ، ويسلط عليهم ما يبرز مكنون القلوب ، فيعلم الله - وهو سبحانه العليم الحكيم - صدق الصادقين وزيف الكاذبين ، ويبرز سبحانه ذلك في مواقف تبين على أصحاب تلك الإدعاءات حتى تكون سمة بارزة يدركها البشر فيما بينهم ، ليتميز كل فريق بمعالم تبرز ما تنطوي عليه نفسه ، كما مثل لذلك الشاعر بقوله :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

كما أخبر النبي -ﷺ- عن ما يجب أن تكون عليه القلوب المؤمنة ، فسأل صحابياً عن حقيقة قوله : أصبحت مؤمناً .. لأن للإيمان حقيقة وطعماً ، فالنفس البشرية تعترضها شهوات ، وتتسلط عليها الأهواء ، وتلك الشهوات تقود إلى المعاصي والظلم ، والأهواء تدفع إلى حب الأثرة ، والصد عن الواجبات .. وغير ذلك من الأمور المقترنة بهذا أو ذاك ، ولا منجى للنفس البشرية من كل ما يعترضها ولا حماية لها مما قد يتسلط على نزعاتها ، إلا بقوة الإيمان والصبر والتحمل ، وإدارك ما يعنيه هذا الإيمان من أهمية في توجيه النفس للخير ، وإبعادها عن الشر ، وميزان هذا الإيمان ، قوة أو ضعفاً يرتبط بميل القلب إلى الخير ، وحب أهله والارتياح لعمله أداء واعتقاداً ، من منطلق أركان الإيمان الستة : الإيمان بالله وبملائكته ، وبكتبه وبرسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وكلما ثقلت مكانة هذه الأمور في القلب عقيدة ، كلما ثقل ميزان الإيمان

عند العبد ، والعكس بالعكس ، يقول -ﷺ- : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً ، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه » رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان .

ذلك أن الفتنة التي هي ابتلاء للنفس البشرية ، وامتحان لنقاوة جوهرها ، تأتي على أنواع ، ويمكن تقريبها للذهن بما يحصل للناس في حياتهم العلمية والعملية .. إذ كل منهم يمتحن لمعرفة المكانة التي يستحقها : تحملاً وقدرة ، ونجاحاً ومعرفة .. فالطالب يقوم إنتاجه العلمي بالاختبار ، و المدارس تبرز حصيلته العلمية ، و قدرته الفنية بالاختبار ، و الموظف يفاضل بينه و بين زميله المنافس في الترفيه بمعايير اختبارية .. وهكذا الفاجر والصانع ، والزارع والعامل .. كل ذي حرفة في حرفته ، لا يمكن المفاضلة إلا بابتلاء في العمل ، واختبار في المهنة ، إلا أن ابتلاء الدنيا عند ذوى العقيدة الصافية ، أهون من ابتلاء الدين استرشاداً بقول الله تعالى : ﴿ فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية : ١٠) .

ومثلما أن الله جلت قدرته ، قد أخبر في أكثر من مكان من كتابه العزيز، بأن التمييز بين الخبيث والطيب ، توضيح للسعادة من الشقاوة ، فإننا ندرك أن الفتنة منها ما يتعلق بالشبهات التي تطرأ ، ومنها ما يتعلق برغبات النفوس وجنوحها ، ومنها ما يرتبط بامتحان النفس ومعرفة ما يحمله القلب من إيمان أو شك ، ومنها ما يتعلق بأمور الحياة العديدة ، ولذا فإنه لا يمكن تمييز الخبيث من الطيب إلا بالابتلاء ولا يمكن إدراك خفايا القلب بإيمان صادق ، أو نفاق فاضح إلا بالابتلاء ، كما أنه لا يمكن

معرفة صدق المحبة لولاة الأمر ، الذين ألزم دين الإسلام بالولاء لهم : « طاعة لله ولرسوله ولمن ولاه الله أمركم » وتطبيق القول الصحيح : « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي » إلا بالابتلاء .. ولابد للتمييز من اختبار لأصالة المعدن فيما يعرض أمام القلب من ابتلاء .. إذ أن ما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه ، وأذاه له في بعض الأحيان : تطاولاً في الكلام ، وتهديداً في عمل ، وتحرشاً في مواقف ، يعتبر نموذجاً من لوازم الابتلاء الذي لابد منه .. والناس فيه على أنواع ومفاهيم ، فإذا كان الحر الشديد ، والبرد القارس ، والعواصف والرياح ، وما يعترض الإنسان من أمراض وهموم وغموم ، كما قال ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه : أمراض القلوب وشفاؤها ، إذا كانت هذه الأمور ، تعتبر من اللوازم الطبيعية ، مثلما ينشأ الإنسان ويتدرج في حياته .. فإن وراء ذلك حكماً بالغة هي من الله امتحان للنفوس لتعرف الخالق بدلالة مخلوقاته ، وتدرك قدرته سبحانه ، بما يتراءى من وراء هذه الأمور من أسرار و عجائب ، و إلى البشر عظات و عبر ، تحرك قلوبهم ، وتربطهم بخالقهم ، وتزكى نفوسهم ، ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ (سورة الاسراء ، الآية : ١٥) .

فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر ، والنفع عن الضر ، واللذة عن الألم لكان ذلك عالماً غير عالم حياتنا المعهودة ، ونشأة أخرى غير هذه النشأة التي يتقلب فيها البشر ، ولا يتميز الضد إلا بالضد ، ولا يحلو تذوق أمر من الأمور ، إلا بمطارحة نقيضه .. ولذا كان دعاء كثير من الصالحين : اللهم أذقني حلاوة الإيمان ، وحقيقة هذه الحلاوة تتأصل في قوله -ﷺ- : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً بمحمد نبياً رسولاً » .

فمثلاً : لو كان المؤمنون منصورين دائماً ، وقاهرين غالبين لكل من

يقف دون دعوتهم ، فإن من ليس قصده الدين ، سيدخل معهم ، لينال من هذه النتائج التي ترنو إليها النفوس ، كما رأينا في قصص المنافقين ، الذين فضحهم القرآن الكريم في كثير من الأعمال والأقوال لأنهم يظاهرون رسول الله -ﷺ- سراً في المدينة ، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً ، حيث يدخر أجرهم لهم في الآخرة ، ويثابون على صبرهم ، فإن ذوى النفوس الضعيفة ، ومن كان ينظر أولا لما هو محسوس ، لن يدخلوا معهم ، وستبقى الفئة المؤمنة قليلة مستضعفة ..

لكن حكمة الله البالغة ، وإرادته النافذة ، اقتضت أن يكون للفئة المؤمنة الدولة تارة ، وعليهم الغلبة تارة أخرى ، كما رأينا في مواقف حصلت لرسول الله -ﷺ- وأصحابه ، من نصر في غزوات وهزيمة في غزوات : فقد تسلط المشركون على الفئة المؤمنة في معركتي أحد وحنين ، فانهزم بعض من كان مع رسول الله -ﷺ- وحصل ما حصل ، وامتحن الله قلوب ذوى الإيمان فأرسل سبحانه جنوداً لا ترى في غزوتي الأحزاب وبدر الكبرى .. فثبت الله الذين آمنوا ، وأيدهم بنصرهم ، وفي كل زمان ومكان تمر بالمسلمين حوادث يتميز بها الصادق من الكاذب ، وتكبر معالم الإيمان بدلائله ، أمام تضاءل النفاق ودعاته ..

ولذا كان الناس في الابتلاء قسمين : قسم يرده ما يقع عليه من الابتلاء والمحن إلى ربه ، ليبدأ في متابعة نفسه وأعمالها ، ويبحث عن النواقص التي طرأت في أعماله ليتدارك ذلك ، ويتوب إلى بارئه ، فهذا من علامة سعادة العبد ، وإرادة الخير به ، لأن من حكمة الابتلاء للمؤمن : تكميل العبودية لله - جل وعلا - في السراء والضراء ، وفي حال العافية والبلاء ، وفي حالة الاقبال والادبار .. إذ كل محنة وبلية باختلاف أضدادها شرط في حصول الكمال الإنساني ، والاستقامة المطلوبة منه ، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع كما قال ابن القيم فى إغاثة اللهفان : ولله أسرار وحكم

ومنبهات وتعريفات لا تنالها عقول البشر

والقسم الثاني : لا يرد ذلك البلاء إلى الله ، بل نرى من ابتلى يشرد قلبه ، ويرده إلى الخلق ، حيث ينسيه ذكر الله ، والضراعة إليه ، والتذلل بين يديه ، والتوبة والرجوع إليه ، مما اقترف من إثم ، أو وقع فيه من ذنب ، فهذا الإنسان قد بانت عليه الشقاوة ، وإرادة الشر ، فهو إن أقلع عنه البلاء رده إلى حكم الطبيعة ، وسلطان شهوته ، ففرح بما أوتي ، حيث تأتي طبيعته عند القدرة بأنواع من الأشر والبطر ، والاعراض عن شكر الله في السراء ، كما أعرض عن ذكره في الضراء ، فبلية هذا كما قال الحسن البصري وبال عليه وعقوبة ، ونقص في حقه ..

ولما كان الإنسان يشاهد الفتن في كل زمان ومكان ، ولا تنقطع ، ويرى أن المصائب تساق للمؤمنين كما تمر على الكافرين الجاحدين ، فإن المؤمن يفحصها بنظرة عقيدته ، حيث يراها تختلف حسب شدتها وضعفها ، ذلك أن ما يرى فيه المنافق والكافر من العز والنصر والنعيم ، فإنه دون ما يحصل للمؤمنين بمراحل ، لأن ذل المعصية تتأصل في قلوبهم ، حيث يقول بعض العارفين : لقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذله ، وهذا بخلاف عز الطاعة الذي يكون راحة في القلب وتكفيراً للسيئات .. ولذا يجب عليه أن يشكر الله في كل موقف ، لأنه إن صبر كان خيراً له في تحمله البلوي ، وإن شكر في الضراء كان خيراً له أيضاً .. فكان أمره كله له خير.

ولذا اختلف الرأي حول : التكفير وتعظيم الأجر : هل هو بمجرد حصول المصيبة ، أم لابد من الصبر على أقدار الله على أربعة أقسام :

لأول : من رضي عن ربه فيما حصل ، فيطمع في المزيد من حبه والشوق إليه ، هذا ناشئ من مشاهدتهم للطف الله بهم ، وبره سبحانه وإحسانه إليهم عاجلاً وآجلاً .

الثاني : من يشكر الله عزوجل على المصائب ، كما يشكره على النعم ،

وهذا فوق الرضاء إلا أنه غالباً ما يكون على النعم .

الثالث : من يصبر على أقدار الله وهم المقتصدون ، ولا يتحقق الرضا والشكر إلا بالصبر .

الرابع : كما أوضح ذلك صاحب كتاب : طريق الهجرتين : الجزع والتسخط والتشكر ، واستبطاء الفرج ، فينتج عن ذلك اليأس من الزوح والجزع الذي يفوت الأجر .

وقد ذكر ابن حجر : أن الأجر حاصل بمجرد المصيبة حيث قال : يظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور وهو خطأ صريح ، فإن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب ، والمصائب ليست منها ، بل الأجر على الصبر والرضا .

والابتلاء مكانة إيمانه ، يمتحن الله النفوس وتحملها .. فكان أشد الناس بلاء الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ثم الصالحون الأمثل فالأمثل .. وتشتد البلاء في كل عصر ومصر ، بقدر المنزلة الإيمانية لأبناء ذلك الزمان ، فيكون من ذلك اختبار لثباتهم وسلامة معتقدهم .. ولذا نجد كتب التفسير وكتب الحديث ، تولى الفتنة والابتلاء اهتماماً كبيراً في توضيح لدلالة النصوص ، حتى تهذب النفوس ، وتتأدب الطباع ، ويكبح جماح الأهواء ..

ابن سيرين والأحلام :

هو محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك النضري ، كان أبوه من سبي عين التمر، أمره في جملة السبي خالد بن الوليد، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، وقد ولد له من الأخيار جماعة : محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ويحيى وحفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء رحمهم الله تعالى كما قال ابن كثير في تاريخه .

قال البخاري : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وتوفي عام ١١٠هـ ، وصفه هشام بن حسان بأنه : أصدق من أدرك من البشر ، فكان إذا

ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم ، وقد وهبه الله صفات عديدة : من السمت والخشوع والهدى ، فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله ، وكان يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله ويسبحه ويذكره ويقول : إنها ساعة غفلة الناس ، وفي هذا يقول : إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه ، كما أنه يرى من ظلم الإنسان لأخيه أن يذكر منه أسوأ ما يعلم منه ، ويكتم خيره .

ويعد محمد بن سيرين من الزاهدين الورعين ، حيث يرى العزلة عن الناس عبادة ، حتى إنه كان إذا ذكر الموت ، مات منه كل عضو على حدته ، وفي رواية : كان يتغير لونه وينكر حاله ، حتى كأنه ليس بالذي كان ، وقد أعطاه الله فراسة عجيبة في تعبير الرؤيا ، حيث كان مضرب المثل في هذا .. من حيث قوة الإصابة وتمكين القدرة ، ليأتي جوابه كفلق الصبح ، وإذا سأله شخص عن رؤيا يقول له : اتق الله في اليقظة ، ولا يغرك ما رأيت في المنام .

في هذا الموقف سأنقل للقارئ الكريم بعضاً من تعبيراته للرؤيا التي عرضت ، حسبما ذكر ابن كثير -رحمه الله- في تاريخه البداية والنهاية ، ليقف القارئ على الموهبة التي منح الله لمحمد بن سيرين في هذا المجال .. ومن ذلك .

= قال له رجل يوماً : رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون ، فقال له : فتش عل امرأتك فإنها أمك ، ففتش فإذا هي أمه ، وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صغيراً سبياً ، ثم مكث في بلاد المسلمين إلى أن كبر ، ثم سبيت أمه فاشتراها جاهلاً ، أنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا ، وذكره لابن سيرين فأمره أن يفتش عن ذلك ففتش فوجد الأمر على ما ذكره .

= وقال له آخر : رأيت كأني دست ، أو قال : وطئت ثمرة ، فخرجت منها فأرة ، فقال له : تتزوج امرأة أو قال تطأ امرأة صالحة ، تلد بنتاً فاسقة .. فكان كما قال ، وقال له رجل آخر : رأيت كأن على سطح بيتي حبات

شعير ، فجاء ديك فلقطها ، فقال له: إن سرق لك شئ في هذه الأيام فأتنى ، فوضعوا بساطاً على سطحهم فسرق ، فجاء إليه فأخبره ، فقال : إذهب إلى مؤذن محلتك فخذه منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه .

= وجاء إليه رجل فقال له : رأيت الحمام تلقط الياسمين ، فقال له : مات علماء البصرة ، وأتاه رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً واقفاً على مزبلة ، وبيده طنبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا إلا للحسن البصري ، فقال الحسن : هو والله الذي رأيت ، فقال : نعم ، لأن المزبلة الدنيا ، وقد جعلها تحت رجليه ، وعريه تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس .

= وجاء إليه رجل فقال : رأيت كأني أستاك والدم يسيل ، فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل لحومهم ، وقال له آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جززتها ونسجتها كساء وبعته في السوق ، فقال له : اتق الله فإنك شاهد زور .

= وجاء إليه يوماً رجل فقال يا ابن سيرين : لقد رأيت كأني أرى اللؤلؤ في الحمأة ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا ينتفع به .

= وجاءته امرأة فقالت : رأيت سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي ، فأخذ منه قطعة ، فقال لها محمد بن سيرين - رحمه الله - : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهماً ، فقالت : صدقت من أين أخذته ؟ فقال من هجاء حروفه ، وهي حساب الجمل ، فالسين ستون ، والنون خمسون ، والواو ستة والراء مائتان ، وذلك مجموعة ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود ، فقال : هو عبد في جواركم ، فألزموا العبد الأسود الذي كان في جوارهم ، وضرب فأقر بالمال المذكور .

ولكل موقف عنده تعبير ، فقد قال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأنا أنظر إليها ، فقال له : أمؤذن أنت ؟ قال : نعم ، قال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران عند ما تصعد للأذان . [البداية : ٩/٢١]

أهمية الإيمان وضرورته للإنسان

[الحلقة الثالثة]

بقلم : فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر بن مفرح
ابها (المملكة العربية السعودية)

طرق البحث عن الإيمان :

لقد مارست البشرية عبر تاريخها الطويل وعصورها المختلفة صفوفاً متعددة وطرقاً كثيرة وأساليب مختلفة في معرفة طريق الإيمان ، منها :

أولاً : منهم من اعتمد على مبدأ السببية وهو مبدأ عقلي يعتمد على أن لكل حدث محدثاً ولكل صنع صانعاً ، وأنه يستحيل أن يكون هذا الكون قد وجد من غير خالق ، والبدوي الذي كان يعيش بفطرته في الصحراء يقول : « الأثر يدل على المؤثر و البعرة تدل على البعير و سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ونجوم تزهر وبحار تزخر أفلا يدل ذلك على السميع البصير .

والناظم يقول :

فيا عجباً كيف يعصي الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
و في كل شئ له آيـــة ... تدل على أنه واحد

إن في كل ذرة من ذرات الكون وفي كل جزئية من جزئياته دليلاً على وجود الله ، يقول عزوجل : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب • الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض• ربنا ما خلقت هذا باطلاً• سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ إن هناك علامات واضحة ودلائل كثيرة تدل على وجود الخالق عزوجل ولا يتعامى عن هذه الدلالات إلا من ضل عن سبيل الله ، والعقلاء مجمعون على أن الآثار تدل على المؤثر وأن هذه المخلوقات تدل على الخالق تبارك وتعالى يقول عزوجل : ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ إن

العقول تمنع أن يكون العدم قد خلق الأشياء ، وأيضاً فلم يزعم أحد أنه هو الذي خلق نفسه أو خلق الكون ، ومادام الأمر كذلك فإنه يتعين أن يكون لهم وللكون خالق ألا وهو الله عزوجل .

ولو حملت في يدى مسجلاً ثم سألني أحد الناس ، من صنع هذا المسجل ، فإن الجواب الصحيح أن أنظر إلى هذا الجهاز لأتعرف على ماركته والدولة التي صنع فيها ثم أجيب على هذا السؤال ولكن لو أجبت على من سألني بأن هذا المسجل لم يصنعه أحد ، فقال لي السائل : أجل كيف وجد هذا المسجل فقلت له هذا المسجل كان قطعةً من الحجر قبل ملايين السنين ، وبفعل عوامل التعرية ، وتأثيرات البيئة ضربته الرياح من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فأصبح مسجلاً ، فهل يقبل العقلاء هذا الجواب أم يردونه ويقولون : مستحيل أن يكون هذا المسجل قد وجد إلا بصانع ونحن نقول للناس إذا كان يستحيل أن يوجد جهاز تسجيل إلا بصانع فكيف يمكن أن يقال أن هذا الكون بما فيه من إعجاز ودقة وإحكام وهذا الإنسان وما فيه من أسرار قد وجد من غير صانع ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، إن كل شئ في الوجود يشهد ألا إله إلا الله ونحن نشهد ألا إله إلا الله ﴿ أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة • ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله • بل هم قومٌ يعدلون • أمن جعل الأرض قراراً • وجعل خلالها أنهاراً • وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً • أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون • أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض • أءله مع الله قليلاً ما تذكرون • أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته • أءله مع الله تعالى الله عما يشركون • أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتو برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .

إن في خلق الإنسان من الآيات والدلائل القاطعات ما يبهر العقول

ويشهد بأنه لا إله إلا الله ، وإلا فمن الذي خلق هذا الإنسان ومن الذي خلق هذه السماوات وهذه الأرض ، وهذا الكون بأجمعه .

إن الكفار إذا واجهتهم هذه الحقائق تهربوا وقالوا الطبيعة ونحن نسألهم من هي الطبيعة أهي الأرض التي تطأونها بأقدامكم الأرض الصماء البكماء العمياء تخلق هذا الإنسان السميع البصير ، سبحان الله عما يشركون ﴿ الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل • له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴾ .

﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً • إنّا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، إن الإنسان لو فكر قليلاً في بعض أجزاء جسمه وما فيه من الإبداع والحكمة لخرّ لله ساجداً لو فكر في الكلية التي يحملها في ظهره والتي تقوم بتصفية الدماء ، إن واحدة من الكلي كافية لحياة الإنسان ولكن الله جعل اثنتين حتى إذا ما فسدت واحدة قامت الأخرى بالدور المطلوب .

وهذه من رحمة الله أن جعل من كل عضو نافع اثنين ومن كل عضو ضار واحداً فقط ، فخلق عينين اثنين وأذنين ورئتين وكليتين ويدين ورجلين ، ولكنه لم يخلق إلا فرجاً واحداً ولساناً واحداً ، وذلك لخطورة كل واحد منها وأكثر ما يهلك الناس الفم والفرج ، فكيف لو خلق الله للإنسان فرجين ولسانين وهناك عضو نافع ولكن الله خلقه لوحده وهو القلب وذلك لاستحال أن يعيش الإنسان بقلبين لأن القلب هو محل الإدراك والعواطف والتصرفات فلا يمكن أن يكون للإنسان قلبان ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ .

فكر يا أخي المؤمن في عضلة القلب وعضلة الرئة ، إنها تعمل باستمرار بدون إرادة منك فما ظنك لو كانت عضلات القلب والرئة إرادية بحيث لا تعمل إلا إذا حركتها فمن أراد الحياة فعليه بتحريك عضلة قلبه وعضلة

رئته ومن توقف عن ذلك مات ، فكر يا أخي أكان أحد يستطيع أن يعيش ماذا يصنع الإنسان لو أراد أن ينام إنه لن يستطيع النوم إلا إذا وكل عنه من يقوم بتحريك عضلة قلبه ورئته وإلا مات .

ثانياً منهم من اعتمد على مبدأ الفطرة التي أوجدها الله في الإنسان والتي تهتف بأن لهذا الكون خالقاً و هو الله ، و قد ورد في الحديث الصحيح : « أن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ولكن هذه الفطرة يجري تخريبها ومسخها بفعل تربية الآباء والمدرسين والمجتمع .

والفطرة هي اللباس المصمم على مقاييس هذا الإنسان هي هذا الدين الذي ارتضاه لهذا الإنسان لأن خالق الإنسان هو الله و مشرع الدين هو الله .

فكأن الدين والإيمان لباس مصمم على مقاييس الإنسان ، فإذا عاش الإنسان على دين الله ، حصلت له الطمأنينة والراحة والأمن والأمان ، وإذا عاش على غير الدين عاش عيشة الشقاء والقلق والحيرة .

وهذا واضح من هذه الأمثلة :

إذا لبس الإنسان ثوباً على غير المقاس الذي يناسبه لم تحصل له الراحة ، إما لضيق الثوب أو لسعته ، وإذا اشترى حذاءاً صغيرة لم يقدر على السير فيها لأنها ليست على مقاسه ، وهكذا إذا لبس الإنسان ديناً ليس له أو اتبع منهجاً ليس له لم تحصل له الراحة ، فالذي يعتنق الكفر أو الشيوعية أو العلمانية هذا لا يرتاح أبداً ، لأن الذي أوجد هذه الأفكار لم يخلق الإنسان ، فهو لا يعرف الإنسان حتى يصمم له هذه الألبسة الفاسدة ، واسمع أخي قول الله : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله • ذلك الدين القيم • ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ إن الفطرة موافقة لهذا الدين ولا يمكن تبديل خلق الله للإنسان فكذلك لا يمكن تبديل هذا الدين ، الموافق لهذه الفطرة .

.....

التوحيد والشرك وأقسامهما

الأستاذ محمد جنيد الجاتكامي
عميد قسم التخصص في علوم الحديث
الجامعة الإسلامية شيتا غونج - بنغلاديش

مما لا شك فيه أن الناس كلهم عبيد لله ، و واجب العباد ووظيفتهم أن يقوموا بالعبادة لمولاهم ، والعبادة لا قوام لها إلا بتصحيح العقيدة والإيمان ، فإن الذي يتطرق إلى عقيدته خلل أو تعرض إيمانه لفساد لم تقبل منه أي عبادة ، فإن الأعمال ولو كثرت لا تقبل إلا بصحة العقائد ، أما لو وقع خلل في العقائد وفساد في المعتقدات فلا يقام للأعمال وزن ولا يحاسب لها حساب ، لذلك على جميع المسلمين أن يتعرفوا الشرك ومعناه وأقسامه ومزالقه ليتجنبوا أنواع الشرك كل الاجتناب ، ويبتعدوا عنها كل الابتعاد ، كما عليهم إلى جانب ذلك أن يكونوا على خبرة كاملة في معنى التوحيد وأقسامه لكي يحققوا مقتضياته ومتطلباته في حياتهم الفردية والجماعية ، ويأخذوا بأيدي الذين وقعوا على شفا جرف هار من الشرك والإلحاد واللادينية ، ويقيموا معالم التوحيد ويرفعوا رأياته في البلاد الإسلامية ويرسوا قواعده وأسسه في أذهان الأجيال الناشئة ، وقلوب شباب الإسلام وأبناء المسلمين ، قال العلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (ش سنة ١٢٤٦هـ) في مقدمة كتابه القيم النافع : « رسالة التوحيد » :

« وقد سلك الناس في هذا العصر في الدين طرائق قدداً ، وتشعبوا شعباً ، فمنهم من يتمسك بعادات الأولين وتقاليد السابقين ، ويعض عليها بالنواجذ ، ومنهم من يحتج بحكايات الصالحين وأساطير الأولين ،

ومنهم من يتشبث بكلام من تسمى بالعلماء ، وامتاز بتشدق اللسان وحدة الذهن ، ومنهم من يركض ركائب العقل في هذا الميدان ، ويرخي لها العنان .

وكان الأفضل الأعدل أن يرد الإنسان كل ذلك إلى الله ورسوله ، فيصدر عما ثبت عنهما ، ويتحاكم إليه ويتخذه بياناً شافياً ، وحكماً قاطعاً ، فيقبل من قصص المشائخ والصالحين ، ومن كلام العلماء والوعاظ والمذكرين ، ما وافق الأصول والنصوص ، وينبذ من الكلام والأحاديث ومن العادات والتقاليد ما خالفها » (١) .

ويقول في موضع آخر .

« فيجب على كل شخص أن يتمسك بالتوحيد واتباع السنة بقوة وعزم ، ويبتعد عن الشرك والبدعة كل الابتعاد ، فإنهما : « الشرك والبدعة » يؤثران في الإيمان ، ويحدثان خللا فيه ، أما سائر الذنوب والمعاصي فهي تؤثر في الأعمال ، وتحدث خللا فيها » (٢) .

وفي هذا الزمان قد شاع الشرك في الناس وانتشر ، وأصبح التوحيد النقي الخالص غريباً غير معروف ، ولكن معظم الناس وجلهم لا يعرفون معنى الشرك ، وما هي أقسامه وحكمه ، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في ورطة الشرك والإلحاد ، وتلوثوا به ، فمن المهم والواجب الأكيد أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد ، ويعرفوا أقسامهما وأنواعهما ، ويعلموا أحكامهما في ضوء القرآن والحديث ، وأقاويل العلماء ،

---

(١) رسالة التوحيد : ص/٢٠-٢١ ، للشيخ إسماعيل بن عبد الغني الشهيد ، ترجمة سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي - أدام الله بقاءه وحفظه ورعاه - .

(٢) أيضاً : ص/٢٤ .

الذين لم يزالوا ينفون عن الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين أحسن ما يجزى العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته .

أريد أن ألقي ضوءً على معنى التوحيد والشرك وأقسامهما بغاية من الإيجاز ، وبالله التوفيق وإليه الإنابة .

التوحيد جوهر الإسلام :

من الحقيقة أن العقيدة الصحيحة السليمة هي الأساس للمجتمع الإسلامي وأن التوحيد المشرق الخالص هو جوهر العقيدة وروح الإسلام كله ، كما هو أعظم نعمة أنعمها الله سبحانه وتعالى على عباده ، لا تساويها أي نعمة ، وإن أهم ما يسعى إليه الإسلام هو حماية العقيدة وصيانة التوحيد من عبث المفسدين ودعوات المبطلين ، حتى يتحرر (المجتمع المسلم) من ضغوط الضلال ولوثات الفساد وشوائب الشرك ورواسب الخرافة .

معنى التوحيد : قال العلامة المحقق خالد محمد على الجاج : «التوحيد إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، ونفي المثل والنظير عنه ، وعدم الإشراك به تبارك وتعالى وهو دين جميع الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، وأنزل به كتبه ، وخلق الخلق لأجله » (١) .

وفي تعليق « كتاب التوحيد » للعلامة الداعية الجليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « التوحيد إفراد الخالق بالعبادة ذاتاً وصفةً وأفعالاً » (٢).

---

(١) الكشاف الفريد : ج/٢ ، ص/٩ .

(٢) تعليق كتاب التوحيد : ص/٢ .

أقسام التوحيد :

التوحيد على ثلاثة أقسام :

١ - توحيد الربوبية والملك : وهو اعتقاد أن الله تعالى رب كل شئ ومليكه ، و خالق كل شئ و رازقه ، و متصرف فيه -- بمشيئته و علمه وحكمته .

وهذا القسم قد أقربه مشركوالعرب على زمن رسول الله -ﷺ- ، كما قال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ (سورة يونس ، الآية : ٣١) . وغيرها من آيات القرآن الكريم التي تدل بصراحة على ذلك .

و يجدر بالذكر أن هذا التوحيد لا يكفي وحده ولا يدخل الناس في الإسلام وحده ، بل لابد أن يأتي العبد معه بلازمه وهو القسم الثاني الآتى وهو توحيد الألوهية .

٢ - توحيد الألوهية : وهو مبنى على إخلاص التأله لله تعالى وإفراده بجميع أنواع العبادة من الصلاة والسجدة والدعاء والنحر والنذر والتوكل وما إلى ذلك .

وهذا التوحيد هو الذي افتتح به الرسل دعوتهم ، كما قال أول الرسل نوح - عليه السلام - لقومه : ﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ٥٩) . وهو الذي وقع فيه النزاع بين رسولنا الأعظم -ﷺ- وبين مشركي مكة .

٣ - توحيد الذات والأسماء والصفات :

وهو العلم والاعتقاد بأن الله تعالى واحد لا شريك له ، ولا مثل له ، ولا نظير له ، قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد • ولو يولد • ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (سورة الاخلاص). وأن الله تعالى بكل شئ عليم ، وعلى كل شئ قدير ، حيّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، منزه عن كل عيب

ونقص، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، سبحان الله عما يشركون، قال تعالى: ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ (سورة الشورى، الآية: ١١). وله الأسماء الحسنى والصفات العلى، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٨٠). فما أثبت الله لنفسه وأثبت له رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال وجب إثباته له على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي عليه الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة ومن في طبقتهم، ومن بعدهم من علماء الحديث والفقهاء من أهل السنة والجماعة، وقد أنكر صفات الله سبحانه وتعالى جهلة حكماء اليونان من ارسطا طاليس و أتباعه، فوقعوا في حفرة الظلة و الضلال و خبطوا خبط عشواء، فرد عليهم بما لا مزيد عليه الإمام الغزالي في « تهافة الفلاسفة » وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: « الرد على المنطقيين » وشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني في بعض مكاتيبه، حتى لقبهم مجدد الألف الثاني - رحمه الله - بالحمقاء بدل الحكماء.

معنى الشرك وأقسامه:

ذم الشرك: ثم اعلم ان نقيض التوحيد الشرك، فهما نوعان متخالفان لا يجتمعان أبداً.

ومن أهم ما يجب على المسلم معرفته هو أن الشرك بالله سبحانه أكبر الذنوب والجروم وأعظم ما يحل به سخط الله تعالى وغضبه، كل الذنوب عسى أن تغفر، لكن ذنب الشرك لا يغفر، والشرك يبطل سائر الأعمال ويهدمها، قال تعالى: ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ (سورة الانعام، الآية: ٨٩). وقال تعالى مخاطباً للنبي -ﷺ-: ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٦٥). وقال أيضاً: ﴿ إن الله لا يغفر أن

يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (سورة النساء، الآية: ٤٨). وأخرج البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رجل يا رسول الله: أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو لله نداً وهو خلقك (١)، وأخرج الترمذي - رحمه الله - عن أنس قال: قال رسول الله -ﷺ-: قال الله تعالى يا ابن آدم: « إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة (٢)، وأخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت (٣).

معنى الشرك: قال صاحب الكشاف الفريد: الشرك دعوة غير الله معه، وأن تجعل لله نداً في العبادة، وهو خلقك، وهو أعظم شئ نهى الله عنه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٢). وقال شيخ الإسلام: الشرك نوعان، أحدهما أكبر _ كالدعاء والسجود والركوع والذبح والنذر لغير الله - وثانيهما أصغر _كالرياء - فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر- لكن بين مؤاخذتي الأكبر والأصغر الكثيربون بعيد - وأما الأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير فلا يؤاخذ به (٤).

[يتبع]

---

(١) مشكاة: باب الكبائر.
(٢) مشكاة، باب الاستغفار.
(٣) مشكاة، باب الكبائر.
(٤) الكشاف الفريد: ج/٢، ص/١٤.

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس

الدكتور عبد الحليم عويس
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

كانت الدفعة الروحية والحضارية التي بدأت مع فتح الأندلس قد وصلت إلى ذروتها ..

وعلى الرغم من بعض الانحرافات في عهود الفتح والولاة والإمارة (٩٢-٣١٦هـ) فقد استطاعت الروح الإسلامية أن تعبر نحو ثلاثة قرون ، وهي تعمق وجودها العقدي والحضاري حتى أصبحت عقيدة الإسلام هي الغالبة ، وأصبحت قرطبة (جوهرة العالم) ..

لقد وصلت الأندلس إلى هذه القمة قريباً من تلك الأيام التي أعلن فيها عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) تحويل الأندلس من إمارة إلى خلافة سنة (٣١٦هـ) ..

لقد شعر بأن الأندلس قد أصبحت دولة عظمى لا تليق بها كلمة إمارة ، وقد كان من هيبتها في عهده أنها أصبحت تلعب بملوك الشمال الأسباني ، وتتدخل في تعيين حكام نبرة وليون ، كما أن هيبتها أيأست الفاطميين من الامتداد شمالاً فاتجهوا إلى مصر تاركين بلاد المغرب لأبنائها حكام بني زيري الصنهاجيين .

= في هذه اللحظات الأندلسية الرائعة التي كانت الأندلس فيها دولة واحدة قوية ، بل خلافة قوية ، وبينما كان الحكم بن عبد الرحمن الناصر يجاهد في سبيل تكوين أعظم مكتبة عرفها العالم الغربي -حسب علمنا-

تتكون من أربعمائة ألف مجلد (١) كان والده عبد الرحمن الناصر يتجه بفكره إلى مجال آخر يظنه طريق المجد والعظمة ، ويظنه الترجمة الضرورية والصحيحة المعبرة عن الواقع الرائع الذي تعيشه الأندلس في عهده ..

وهكذا ، فبدلاً من أن توجه النسبة الكبرى من ميزانية الدولة إلى الجهاد العقدي والعقلي وصناعة الحضارة والإنسان ، وتمتد مساحات العقيدة والعلم والإبداع خارج قرطبة إلى بلاد المغرب والمشرق - قسم الناصر جباية الدولة على ثلاث أثلاث : « ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مدخر» (٢) .

وقرر الناصر بناء مدينة الزهراء : فابتدى بنيانها في أيام الناصر من أول سنة ٣٢٥هـ وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة « وجلب إليها الرخام من قرطاجنة إفريقية ومن تونس » (٣) . .. وقد استنفدت الزهراء ثلث إيراد الدولة لمدة ١٧ سنة ، على أن بناءها لم يتم نهائياً إلا بعد أربعين سنة (٤) .

وبعد أن كان النصيب الأكبر من جهود الحكم من عبد الرحمن الناصر متجهاً إلى المجال العلمي اختاره أبوه ليشرف له على بناء الزهراء ، فأصبح الخليفة وولي عهده مشغولين ببناء الزهراء على حساب مساحة

---

(١) في مقابل ١٩٢ كتاباً كانت هي أكبر عدد من الكتب ملكته كاندرائية أوربية حتى ذلك التاريخ .

(٢-٢) ابن عذاري : البيان المغرب ٢/٢٢٠ ، نشر دار الثقافة تحقيق كولان ، وبروفنسال .

(٤) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس : ص/٢٢٠ ، طبع مؤسسة الثقافة بالاسكندرية .

الجهاد والعلم !!

وكان أمراً طبيعياً أن يظهر الناصر فلسفته التي تقف وراء هذا العمل الذي يمثل تحولاً عن التوجه الإسلامي الذي يقوم على بناء العقيدة والإنسان - بالدرجة الأولى - فقال شعراً يترجم آراءه :

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان
أو ما ترى الهرمين قد بقياوكم ... ملك محته حوادث الأزمان
إن البناء إذا تعارض شأنه ... أضحى يدل على عظيم الشأن

لقد نسى الناصر أن هذه الفلسفة المادية لا تمثل الرؤية الإسلامية ، بل هي - كما ورد في شعره - عرضاً - فلسفة الحضارات المادية والفرعونية التي لا تحمل رسالة إلهية توحيدية عامة تمثل خطاباً لكل البشر ومشروعاً لإنقاذهم وتحقيق إنسانيتهم وكرامتهم وعبوديتهم لله وحده .

وقد قامت معارضة كبيرة ضد الناصر تحمل وجهة النظر الإسلامية في هذا التوجه المادي الذي يعلى من أسهم حضارة الحجارة وقهر الإنسان في سبيل مجد شخصي زائل ، وينفق وقت الأمة وأموالها في هذه الأشكال والرسوم ، وقد تزعم المعارضة القاضي المجاهد المنذربن سعيد البلوطي ..

وكان من أقوال المنذر البلوطي في رد فلسفة الخليفة الناصر هذا الشعر الذي يقول فيه :

يا باني الزهراء مستغرقاً ... أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رونقاً ... لو لم تكن زهرتها تذبل

وفي يوم من أيام الجمع انهمك الناصر في استكمال زخارف الزهراء وأثاثاتها حتى فاته حضور الجمعة فحفظها له البلوطي ، فلما احتفل بافتتاحها خطب البلوطي في مسجدها فكان مما أورده في مجال مقاومة هذا الاتجاه قول الله تعالى : ﴿ أتبغون بكل ريع آية تعبثون • وتتخذون

مصانع لعلكم تخلدون • وإذا بطشتم بطشتم جبارين • فاتقوا الله وأطيعون • واتقوا الذي أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون • إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ (١) .

ويعلق على هذا الخلاف بين الخليفة الناصر والقاضي البلوطي المؤرخ المعاصر الدكتور أحمد مختار العبادي فيقول (٢) :

« ثم دارت الأيام دورتها وتحقق ما ذهب إليه المنذر بن سعيد ، إذ لم تعمر مدينة الزهراء أكثر من ستين عاماً ، ثم لعبت بها أيدي الخراب في أيام الفتن التي قامت في أواخر أيام الدولة الأموية ، وصارت المدينة تنمحى شيئاً فشيئاً ، حتى زالت ولم يعرف أثرها إلا بعد الحفريات الحديثة » (٣) .

وهكذا - مع بداية الربع الثاني من القرن الرابع في الأندلس - ظهر توجه جديد أحدث شرخا قوياً في الحضارة الإسلامية ، وظل مستمراً في عصور الأندلس التالية ، فكان عاملاً - مع عوامل أخرى - على فقدان روحها وخصائصها ، وبالتالي تمكين الأعداء من الإجهاز عليها .

= كان عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ) قد بدأ بناء المسجد الجامع في قرطبة سنة ١٦٩هـ ، وأنفق في ذلك ثمانين ألفاً من لجين وعسجد (٤) ثم زاد هشام (١٧٢-١٨٠هـ) صومعة وسقائف لصلاة النساء والميضأة (٥) .

---

(١) مجد الدين الخطيب : الزهراء ص/٢٨ ، المطبعة السلفية و مكتبتها ، القاهرة ١٣٤٢هـ .
(٢) في تاريخ المغرب والأندلس : ص/١٨٢-٢٢٢ .
(٣) في تاريخ المغرب والأندلس : ص/٢٢٢ .
(٤) إشارة إلى بيتين من الشعر قالهما البلوي الشاعر بهذه المناسبة ، انظر ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/١٧٠ .
(٥) ابن عذاري : ٢/٢٢٠ .

ثم زاد فيه عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦-٢٣٨هـ) زيادة كبيرة، كان الفراغ منها سنة ٢٢٤هـ (١) ، ثم زاد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٢٨-٢٧٢هـ) طرزاً في الجامع وتنميقاً لنقوشه وأقام مقصورة وجعل لها ثلاثة أبواب (٢) ، ثم زاد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٢-٢٧٥هـ) البيت المعروف ببيت المال في الجامع وأمر بتجديد السقاية وإصلاح السقائف ، ثم زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ) ساباطاً معقوداً على حنايا أوصل به ما بين القصر والجامع ، ثم أمر بستارة من آخر هذا البساط إلى أن أوصلها بالمحراب ، وفتح إلى المقصورة باباً كان يخرج منه إلى الصلاة (٣) .

= فلما جاء الناصر أنفق في صومعة المسجد وفي تعديل المسجد وبنيان الوجه للبلاطات الأحد عشر بلاطاً سبعة أمداد وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية (٤) .

= لقد أصبح الأمر تنافساً على تخليد الذكر عن طريق التوسع في المباني ، ولئن كان الأمر مقبولاً في حدود طاقة الأمة وسلم أولوياتها وفي حدود نسبة المنفق إلى ميزانية الإنفاق العام - فقد بدأت النسبة تختل مع بداية بناء الزهراء (٥) وتوجه الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر

(١-٢-٣) ابن عذاري : ٢/٢٢٠ . (٤) ابن عذاري : البيان ٢/٢٢١ .

(٥) يقول ابن عذاري : « وجملة ما أنفق عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة الزهراء وقصورها خمسة وعشرون مديا من الدراهم القاسمية وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف !! » ترى لو أنفقها على الدعوة إلى الإسلام وبناء مؤسسات صناعية وعلمية ماذا سيكون عليه حال الأندلس بعده !!

وجدير بالذكر أن الناصر لم يبن الزهراء وحدها بل أعاد بناء مدينة سالم شمال شرق مدريد ١٣٥ كم ، وبنى المرسية قاعدة للأسطول وللتجارة .

إلى التركيز على هذا المنحى دون تحديد دقيق لعواقبه الوخيمة وآثاره البعيدة وبما أن الناس - في التقليد - على دين ملوكهم ، فقد أصبحت المدن الأندلسية تضم كثيراً من الضياع والمنيات ، والتي انتشرت في بلاد الأندلس بشكل عام ، وقد استمر نظام الضياع واتسع ، ثم انتشرت المنيات ، وكان هناك فرق بين الضياع والمنيات يميز إحداهن عن الأخرى ، فالضياع عبارة عن قرى تصير إلى ملك مالك كبير ، وكثيراً ما كان يسكن بها ، أما المنية فعبارة عن ضيعة صغيرة ينشأ حولها قصر ريفي يبنيه المالك لتلك المدينة (١) .

وكذلك كانت مدن الأندلس تحتوي على كثير من التماثيل والأشكال الهندوسية ، وقد أورد ذلك المقرى عند وصفه لمدينة قرطاجة بقوله : وبها أقواس من الحجارة المقربصة ، وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة (٢) ..

وعند ما جاء محمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) (٣٦٦-٣٩٢هـ) سار على خطا الناصر فأنشأ مدينة الزاهرة شمال شرقي قرطبة سنة ٣٦٨هـ (٩٧٨م) لتنافس الزهراء أو لتحل محلها ..

لكن مصير الزاهرة لم يكن أفضل من مصير الزهراء ، فاندرست بعد مدة قصيرة من بنائها خلال الثورات التي قامت ضد عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر المعروف بشنجول سنة ٣٩٩هـ .

و في عهدى عبد الرحمن الناصر و المنصور بن أبي عامر اللذين

(١) ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر : تاريخ افتتاح الأندلس : ص/٢٠٩ . تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتب الإسلامية . ط.١/١٤٠٢هـ .

(٢) المقري أحمد بن محمد : نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب ١/١٦٠ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر القاهرة ١٩٤٩م .

يوشكان أن ينتظما القرن الرابع الهجري (٣٠٠-٣٩٢هـ) كان التكالب على المادة ومظاهر الشراء والبذخ هي السمات الغالبة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس .. وكان هذا النمط من الحياة سبباً من أسباب قيام الفتنة الطائفية التي مزقت وحدة الأندلس إلى اثنتين وعشرين دولة!!

ويروى ابن عذارى المراكشي أنه في عهد عبد الملك بن المنصور العامري خرج الناس صائحين : (مات الجلاب) (١) يقصدون كثرة الغنائم والسبايا التي كان المنصور يجلبها من غزوات ، والتي أتخم بها المجتمع الأندلسي لدرجة أن الناس في عهده كانوا يجهزون بناتهم بمبالغ كثيرة ومظاهر فخمة تعبيراً عن الثراء الذي يعيشه المجتمع .

ويحكى لنا محمد بن أفلح أن المنصور بن أبي عامر كان يجلس في دار الضرب أيام حكمه ، فقصده ابن أفلح عند ما اضطر إلى عمل عرس لابنه ووجد أنه سيكلفه ما لا يطيق ، فملأ ابن أبي عامر حجره بالمال ، لدرجة أن ابن أبي أفلح لم يكن يصدق ما يراه لكثرته وعظمته ، وعمل العرس ، وفضلت له فضلة عظيمة (٢) .

ويوضح لنا الثراء المادي والتكالب على الزخارف تلك النعوت التفصيلية الكثيرة التي وصف بها المؤرخون والجغرافيون جامع قرطبة العظيم ، بما يحتويه من مصابيح وثريّات وخشب صنوبري ، وصنائع ونقوش وزخارف لا يشبه بعضها بعضاً وبلاط نادر ، وقبلة يعجز الواصفون عن وصفها ، فيها من الفسيفساء المذهب الكثير ، وعلى وجه

(١) البيان المغرب ١٢/٢ ، تحقيق ليفي بروفنال .

(٢) المقري : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ٨٨/٣ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، نشر دار الكتاب العربي - بيروت .

المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقوش ، وفي جهتي المحراب أربعة عمد ان لا تقوم بمال ، أما الصومعة (المئذنة) فارتفاعها في الهواء مائة ذراع ، ويصعد إليها بمدرجين ، وعلى أعلى القبة ثلاث تفاحات ذهباً ، واثنتان من فضة (١) .

وفي عصر الطوائف (٤٢٢-٤٧٨هـ) استمرت ظاهرة التكالب المادي ومظاهر البذخ ، على الرغم من الصراعات التي كانت دائرة بين الإمارات الأندلسية (إمارات المدن) .. وكانت الطبقة الحاكمة في الجهلة ، ومن يلوذ بها ، فضلاً عن بقية أعضاء الطبقة الأرستقراطية تتفنن في بناء القصور وابتداع ألوان الزخارف فيها ، وكانت قصور هؤلآء الأثرياء مثوى لفنون الغناء والرقص والموسيقي وما يدخل بابهما من صور الترف ، وكان معظم هؤلآء الأثرياء من المعتكفين على الموسيقي والفتيات الحسان وهم ينفقون في سبيل ذلك الأموال الطائلة (٢) .

لقد وقع نوع من التنافس على المظاهر بغية إظهار القوة والعظمة بين ملوك الطوائف في المدن الأندلسية المختلفة ، وكانت كل منها تحاول أن تكون الأعظم والأرقى في مظاهر الحياة المادية ، ففي أشبيلية كان للأرستقراطية الأشبيلية - ولا سيما الأسرة الحاكمة - النصيب الأوفر من هذا الرفاه الاقتصادي .

وكان من الطبيعي في ظل هذا التوجه أن ينتشر الترف والتحلل ، وأن

(١) الحميري : صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار صفحات ١٥٢-١٥٦ بعناية ليفي بروفنسال ومخطوط في ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول ورقة ٢١٢ - الخزانة الملكية بالرباط رقم ٥٥٨ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف : ص/٤٤١ ، نشر مصر ١٩٦٠م .

يترجم الأدب هذا النمط من الحياة ، ولهذا كانت القصائد التي صدرت عن أسرة بني عباد والأسر الأرستقراطية الاشبيلية مستوحاة من حياتهم الباذخة ، فقد كانت مشاغلهم نادراً ما تتجاوز حياتهم المترفة في القصور كمجالس الأنس والشراب والزهور والنساء والغلمان (١) .

ولعل أهم الأدباء الذين وصلتنا أسماؤهم من ممثلي هذا الاتجاه المترف أبو عامر بن مسلمة ، وأبو جعفر بن الأبار ، وأبو بكر بن القوطية ، وأبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ، وأبو بكر بن نصر ، وأبو الإصبغ بن عبد العزيز ، وأبو الوليد بن العثماني ، وأبو الحسن بن علي (٢) وغيرهم .

وكنموذج نضربه لهذا الاتجاه نشير إلى أن الشاعر أبا عامر بن مسلمة كان يملك ثروة كبيرة كفلت له حياة البذخ والعيش المرفه الرغيد ، ولهذا فقد ابتعد عن المعتضد بن عباد واكتفى بحياته المريحة الباذخة التي كانت تهيئها له ثروته الكبيرة ، واكتفى لكي يحافظ على حياته المترفة من بطش السلطان أن يذكر اسمه في نهاية مقطوعاته الشعرية التي يصف فيها الربيع والأزهار والخمور (٣) .

والحقيقة أن أبا عامر - استناداً على ما لدينا من شعره - يبدو لنا نموذجاً ممثلاً للأرستقراطية البعيدة عن الحكم ومشاغله ، وهي تلك الأرستقراطية التي تعتزل الحياة العامة وتنطوي في عالمها الخاص الذي

(١) صلاح خالص : إشبيلية في القرن الخامس الهجري : ص/١٥٢ ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٥م .
(٢) المكان السابق .
(٣) المرجع السابق : ص/١٥٢ .

تهيئه لها ثروتها الكبيرة ، وهو عالم مليء بالجمال والنساء والحسان والغلمان والحدائق والزهور والخمر ، عالم يستطيع أن يجد فيه الشاعر كثيراً من مصادر الإلهام ، وإذا وضعنا جانباً أبياتاً متفرقة هنا وهناك تتحدث عن المعتضد فلا شيء في هذه المقطوعات يتحدث عن العالم الخارجي فلا إسلام ولا أندلس ولا أعداء يهتم بهم الشاعر !!

وقد ذكر ابن بسام قطعاً جميلة من إنتاج أبي عامر تعالج موضوعات أوحاها إلى الشاعر عالمه الخاص الذي انطوى فيه على نفسه كما هو حال فريق من الأغنياء الذين اختاروا مثل حياته ، كما يذكر مؤلف كتاب : (البديع في وصف الربيع) أبو الوليد الحميري عدداً من المقطوعات الشعرية في وصف مختلف أنواع الزهور ، تجعل من أبي عامر بن مسلمة شاعراً مبرزاً في هذا الميدان من ميادين الشعر الأندلسي (١)

وإذا تركنا اشبيلية وانتقلنا إلى قرطبة بدءاً من عصر الفتنة وحتى ينتهي عصر الطوائف بقدوم المرابطين ، فإننا نجد أنواعاً من التكالب المادي قد لا تكون من طبيعة التهالك الموجود في اشبيلية ، لكنها - على أية حال - لا تقل سوءاً عنها .. بل هي الأسوأ بكل المقاييس ..

[يتبع]

(١) المرجع السابق : ص/١٥٤ ، (وانظر الذخيرة ، ق/٢ ، ترجمة أبو عامر بن مسلمة) .

الإمام الطبري وقوة حفظه في ضوء أقوال المؤرخين

عبد الرحمن الملي الندوي
رئيس تحرير لجلة (النور) العربية ، بجامعة أكل كوا - الهند

الإمام الحافظ من أهل السنة هو أحد الأعلام وصاحب التصانيف الكثيرة ، والمحدث الكبير من (آمل) بطبرستان ، إنه محمد بن جعفر أبو يزيد أبو جعفر الطبري ، كان مولده (بآمل) طبرستان ، « وقد وقع الشك في تاريخ ولادته ، قال بعضهم : ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقال بعضهم : أول سنة خمس وعشرين ، وسأله أبو بكر بن كامل تلميذه ، ومؤرخ حياته ، كيف وقع الشك في ذلك ؟ فقال : لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين ، فأرخ مولدي بحدث كان ، واختلف المخيرون ، فقال بعضهم : سنة أربع ، و قال الآخرون : سنة خمس و عشرين ومائتين » (١) .

إن الإمام الطبري كان مؤرخاً شهيراً ، عديم النظير ، ومفسراً لا مثيل له ، وقد طارت صيته في التاريخ والتفسير ، يذكر المغلقات بالتدقيق والتفحيص ، ويفسر الآيات القرآنية في ضوء الحقائق والوقائع ، لا يأتي بالرطب واليابس إلا حققه ودقق معانيه ، لقد تفرد العلامة الطبري بمؤلفاته ، حتى أخذ الناس كتبه كمرجع لهم ، مهما كانت فنونهم ، واعتمدوا على ما استقادوا من تصانيفه .

(١) تاريخ الطبري : ج/١ ، ص/٦ .

قال أبو بكر الخطيب البغدادي : كان ابن جرير أحد الأئمة يحكم بقوله ، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتاب الله ، بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسنن ، وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها (١) .

وقال أيضاً : وله الكتاب الكبير المشهور في تاريخ الأمم ، وله كتاب في التفسير ، الذي لم يصنف مثله ، وكتاب تهذيب الآثار لم أر مثله في معناه ، ولكن لم يتمه ، وله اختيار من أقاويل الفقهاء ، وقد تفرد بمسائل حفظت عنه (٢) .

وقال عنه تاج الدين السبكي : الإمام الجليل المجتهد أبو جعفر الطبري من أهل طبرستان ، أحد أئمة الدنيا علماً وديناً .

أخذ الحديث عن نبذة من المحدثين ومنهم ، محمد بن عبد الملك ، إسحاق بن أبي إسرائيل ، وإسماعيل بن موسى الضراري ، وهناد بن السرى وليد بن شجاع ، أحمد بن منيع ، محمد بن حميد الرازي ، ويونس بن عبد الأعلى ، وسمع الحديث بخلق كثير سوى هؤلاء .

« كان أسمر أعين مليح الوجه ، مديد القامة ، فصيح اللسان ، رحل إلا الآفاق في طلب الحديث ، وصنف التاريخ الحافل وله التفسير الكامل ، الذي لا يوجد له نظير ، وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع » (٢) .

قال الخطيب البغدادي : استوطن ابن جرير بغداد وأقام بها إلى حين

(١-٢) تذكرة الحفاظ : ج/٢ ، ص/٧١١ .
(٣) البداية والنهاية : ج/١١ ، ص/١٤٥ .

وفاته ، وكان من أكابر أئمة العلماء ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره (١)

وقال الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الأسفرائني : لو سافر رجل إلى الصين حتى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيراً

وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر خزيمة أنه طالع تفسير محمد ابن جرير في سنين من أوله إلى آخره ، ثم قال : « ما أعلم على أديم الأرض من ابن جرير» (٢) ، إن الإمام الطبري - رحمه الله - ، كان حسن الصوت بالقراءة مع المعرفة التامة بالقراءات على أحسن الصفات وكان مع كبار الصالحين

ذكر عبد الله بن أحمد السمسار أن ابن جرير قال لأصحابه : هل تنشطون لتاريخ العالم ؟ قالوا : كم يجيئ فذكر نحواً من ثلاثين ألف ورقة ، فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه ، قال : إنا لله ماتت الهمم ، ثم أملاه في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، قال الفرعاني : تم له التفسير والتاريخ ، وكتاب القراءات وكتاب العدد والتنزيل ، وكتاب اختلاف العلماء ، وكتاب تاريخ الرجال وكتاب لطيف القول في الفقه ، وكتاب التبصير في الأصول ، وكتابه تهذيب الآثار ، وهو من عجائب كتبه ابتداء بما رواه أبوبكر الصديق مما صح ، وتكلم على كل حديث وعلته وطرقه ، وما فيه من الفقه ، واختلاف العلماء وحججهم

وقد روى عنه عبد الغفار اللغوي : أن محمد بن جرير مكث أربعين

(١) البداية والنهاية : ج/١١ ، ص/١٠٤٥
(٢) تذكرة الحفاظ : ج/٢ ص/٧١٢

ستة يكتب في كل يوم وليلة أربعين ورقة ، ومن قوة حفظه أنه أملى التفسير كله عن ظهر غيبه ، وأتمه في سبع سنين ، وهذا التفسير يحتوي على ثلاثة آلاف ورقة ، أن الطبري أتى بأحاديث بكثرة كاثرة في تفسيره هذا مع أسنادها

يقول أبو جعفر بن جرير الطبري عن أمره في حداثة سنه ، فقال : حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين وكتبت الحديث ، وأنا ابن تسع (١) .

ورأى أبى في النوم أنى بين يدي رسول الله -ﷺ- وكانت معي مخلاة حجارة وأنا أرمى بين يديه ، فقال له المعبر: إنه ان كبر فصح في دينه ، وذب عن شريعته ، فحرص أبي على معونتي في طلب العلم ، وأنا حينئذ صبي صغير (٢) .

إن الإمام الطبري كان له يد طولى في جرح الحديث وتعديله ، وقد عده الذهبي من رجال الطبقة السادسة وذكر النووي في كتاب « تهذيب الأسماء واللغات » أنه في طبقة الترمذي ، والنسائي ، ومن أشهر ما صنف فيه كتاب ، أما القراءة فقد تلقي حروف القرآن على شيوخ القراءة ببغداد والكوفة والشام ومصر ، وإلى جانب علمه بالقراءة كان حسن التلاوة حسن الترتيل ، سمعه أبو بكر بن مجاهد وهو في طريقه إلى المسجد لصلاة التراويح ، يقرأ سورة الرحمن ، فقال :

ما ظننت أن الله خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة ، إن العلامة إمام الأئمة فريد عصره محمد بن جرير الطبري كان شاعراً مجيداً أيضاً ،

(١) مقدمة محمد بن جرير الطبري من تاريخ الطبري : ج/١ ، ص/٦ .
(٢) أيضاً : ص/١٨

طارت أبياته في الآفاق ، ذكره القفطي في كتاب « المحمدين من الشعراء » وقال : كان له - رحمه الله - « شعر فوق شعر العلماء » .

نذكر هنا بعض الأبيات على سبيل الإيجاز ، يقول العلامة الطبري : وهو يذم البطر والمباهات والافتخار الزائد ، ويحسن الفقر والخشونة ويحب لنفسه الافتقار .

خلقان لا أرضى طريقهما بطر الغني و مذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً وإذا افتقرت فته على الدهر

هناك أبيات غير قليلة للطبري نتركها خوفاً من الطول ، قصارى الكلام : إن الله رزقه الملكة التامة الموفورة في أكثر الفنون الرئيسية من التاريخ والتفسير وجرح إسناد الحديث وتعديله ، والقراءة والعروض والشعر ، وقد تلقت سائر كتبه القبول العظيم والرضاء اللائق في الأوساط العلمية وفي حلقات المحققين ، إن شخصيته كانت جامعة لأشتات العلوم والمعارف ، فقه العلم وهو دون الإدراك ورحل في سبيله يافعاً لم يبلغ مبلغ الرجال ولقي المئين من الرواة والعلماء ، وطالع صنوف الكتب ولم يلبث أن أصبح إماماً وصاحب مذهب ، أملى اسمه على التاريخ وسار ذكره مع الزمان واقترن علمه بالثقة والاعتبار.

وسوف نفرد المقال باذن الله عن تفسيره وتاريخه ، ونأتي في الكلام بأشياء طريفة من تفسيره .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

.....

رجل فقدناه :

محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي

ومنجزاته العلمية

[الحلقة الرابعة]

سعيد الأعظمي

وهذا مصنف الإمام أبي بكر بن أبي شيبة (المتوفى ٢٣٥هـ) صنو مصنف الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، بل تزيد قيمته نظراً إلى ما يحتوى عليه من الأصول الغالية التي كانت بين يدي الإمام مسلم والإمام ابن ماجة ، وقد تناولها المحقق الكبير بالذكر خلال تعليقاته على هذا المصنف .

تحمّل العلامة الأعظمي مسئولية التحقيق والتعليق والتصحيح لهذا المصنف ، على طلب من بعض أهل العلم ، و لم يبال في سبيل ذلك بالعوائق من الأسقام والأعمال مع تقدم السن ، وأنجز عمله في التحقيق على النمط التالي ، كما ذكره الناشر في مقدمته :

١- يصحح الأغلاط الكتابية والمطبعية ، ويجهز نسخة المصنف صحيحة كاملة حسب ما أمكن ، يزيد في (الأصل) ما سقط منه آخذاً من النسخ الأخرى ، وكذا ينبه على ما سقط من النسخ غير الأصل .

٢- يخرج الأحاديث المرفوعة ، ويذكر محالها في الكتب الستة وغيرها .

٣- يذكر ما يتعلق بالرواة الغير المعروفين من توثيق أو جرح ، وإظهار إسم أو إبراز كنية ، أو غير ذلك .

٤- يفتح المغلقات ، ويشرح غريب الحديث .

٥- يذكر بعض المباحث العلمية .

٦- ينبه على أغلاط المؤلفين .

ويتحدث فضيلة الشيخ ملك عبد الحفيظ صاحب المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة وناشر هذا المصنف . - حفظه الله - عن حاجة أهل العلم إلى نشر هذا المصنف في لباس تحقيقي قشيب يعده عالم محقق كبير ، يخلع به الكتاب فيقول :

« وكان أهل العلم يشتاقون إلى إبراز الكتاب كله في قالب جيد مع تعليق وتحقيق يقوم به عالم متقن ومحدث مبرز من فرسان هذا الميدان ، وكان من قدر الله سبحانه وتعالى أن المحدث الشهير والناقد البصير الشيخ الأجل حبيب الرحمن الأعظمي - -حفظه الله تعالى - قدم الحجاز حاجاً قبل أربع سنوات ، وله ممارسة تامة وخبرة كاملة بالتعليقات على كتب الحديث .

وقد نشرت عدة كتب بتعليقاته النفسية ، خصوصاً السفر الضخم الجليل مصنف الإمام عبد الرزاق الصنعاني - رحمه الله تعالى - ، فالتمس منه صديقنا الشيخ الجليل الفقيه العلامة محمد عاشق الهي الميرتي - حفظه الله موفقاً للخيرات - أن يعلق على مصنف الإمام أبي بكر بن أبي شيبة ، على منهاج ما علق على مصنف الإمام عبد الرزاق -رحمه الله تعالى- فلبي دعوته مع ضعفه وكبر سنه ، و وعد أنه يتحمل هذه المشقة الجسيمة ، وذلك خدمة لكتاب حديث لم يعلق عليه أحد من أهل الفن كما ينبغي بشأن الكتاب » . (مقدمة الناشرفي مفتتح الكتاب) .

هكذا صدر هذا المصنف إلى الأوساط العلمية في قالب علمي تحقيقي جديد ، واستفاد منه أصحاب العلم والبصيرة من العلماء والمحدثين ، وتلقاه طلبة العلم في الجامعات الإسلامية والمدارس الدينية ، بالقبول والتقدير ، عاكفين على دراسته والاستفادة منه .

أما كتاب « أسماء الثقات » للحافظ المفيد المكثر محدث العراق أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي الواعظ المعروف بـ «ابن شاهين » فقد قام المحدث الأعظمي - رحمه الله - بالتحقيقات والتعليقات المفيدة لهذا الكتاب ، التي زادت من قيمته لأنه كتاب يحتوي على أسماء الثقات ممن روى الحديث عن نقاد الحديث الذين قبلت شهادتهم واشتهرت عدالتهم ، وعرفوا بها بين الناس ، مثل يحيى بن سعيد القطان و عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن معين ومحمد بن أحمد ابن حنبل وعلي بن المديني وعثمان بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي،وأحمد بن صالح .

وأخرجت أسماء الثقات في هذا الكتاب على حروف المعجم ، ليقرب للناظر فيه أسماء من قصدهم .

ولا شك فإن هذا الكتاب له مكانة كبيرة عند أئمة الحديث ، وعلماء أسماء الرجال الذين يبذلون مجهودات كبيرة في تحقيق أسماء الرواة ومعرفة الأشخاص ، وتبيين عدالتهم ، ونقد شهادتهم ، ولقد كان العلامة الأعظمي من أجدر الناس بهذا التحقيق لما أكرمه الله تعالى بالنظرة العميقة والبصيرة النافذة في علم الرجال ونقد الرواة .

وكذلك وفقه الله تعالى إلى تأليف كتاب في تحقيق رجال شرح معاني الآثار للطحاوي الذي هو أول كتاب له،و رجال مشكل الآثار الذي هو آخر كتابه وتعريف رواتها وبيان مكانتهم الإسنادية بالوزن على ميزان النقد العادل ، وقد سمى المحدث الأعظمي هذا الكتاب باسم : « الحاوي لرجال الطحاوي » تناول فيه رواة الطحاوي بترتيب حروف المعجم ، ابتداءً من الألف ، مثل إبراهيم بن أبي داؤد ، أحمد بن خالد الوهبي ، اصبغ بن أبي الفرج ، إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، أحمد بن أبي عمران ، أنس بن

ممالك وغيرهم .

وهذا عمل وجيه مشكور يعتبر زيادة ثمينة في مكتبة أسماء الرجال ، وحقيق بأن ينال طريقه إلى الطبع ، إذا تولاه ناشر ألمعي يتذوق علم الحديث ، ويعتني برجاله نقداً وتحقيقاً .

كما أنه ألف كتاباً في تراجم المحدثين من اتباع المذهب الحنفي وسماه : « الاتحافات السنية بذكر محدثى الحنفية » يترقب من يتولى نشره وتوزيعه على الأوساط العلمية .

أما مؤلفاته التي ألفها باللغة الأردية فهي كثيرة ، ومن أهمها :

١- نصرة الحديث ، وفيه رد على فتنة إنكار الحديث ، التي تفاقمت في أيام الاستعمار الانجليزي في هذه البلاد ، حيث إن فئة من المسلمين قامت بإيعاز من أعداء الإسلام ، تجاهر بإنكار الحديث ، وتعلن الاكتفاء بتوجيهات القرآن ، هنالك نهض العلامة الأعظمي بإثبات حجية الحديث ، وبرهن على صدق مكانته ، والاحتجاج به في جميع شئون الحياة ، وقد نال هذا الكتاب قبولاً بين أوساط العلماء وأهل الحديث وأعيدت طبعاته .

٢- الأعلام المرفوعة في حكم الطلقات المجموعة .

٣- الأزهار المربوعة في رد الآثار المتبوعة (في مجلدين) .

٤- أحكام النذر لأولياء الله وتفسير ما أهل به لغير الله .

٥- دفع المجادلة عن آية المباهلة .

٦- إرشاد التعليق في جواب اتحاد الفريقين .

٧- التنقيد السديد على التفسير الجديد .

٨- ركعات التراويح .

٩- أعيان الحجاج ، (في مجلدين) .

١٠- تحقيق أهل الحديث .

١١- إبطال العزاء (صناعة شبيه لضريح الإمام سيدنا حسين - رضي الله عنه -) من خلال وجهة نظر أهل السنة .

١٢- دليل الحجاج .

١٣- أحاديث أهل القلوب المتعة . (في جزئين)

١٤- أصحاب المهن والصناعات الأشراف .

١٥- الشارع الحقيقي . (وما إلى ذلك من رسائل توجيهية) .

هذا وله بحوث ومقالات علمية كثيرة نشرت في مجلات علمية ودينية في اللغتين العربية والأردية ، كما أن له تحقيقات علمية وحديثية جرت في أوقات ومناسبات مختلفة رداً على الاستفسارات العلمية والاستفتاءات الحديثية التي كانت ترد إليه من جهات مختلفة .

وإلى الإخوة القراء نموذجاً رائعاً من تحقيق العلامة الأعظمي وجوابه الشافي على سؤال وجهه إليه الأستاذ عبد الحفيظ الرحماني حول مسألة علمية يبدو به مدى تعمق العلامة الأعظمي في الحديث الشريف وبلوغه إلى ذروة عليا من البحث و التحقيق ، و ما منحه الله تعالى من قوة في الاستدلال وسطوع في البرهان وجدارة في الإيضاح والبيان .

س : « ما هو رأي سماحتكم حول رواية جاءت في صحيح البخاري في كتاب الأنبياء ، وهي :

« قال ابن عباس - رضي الله عنه - : أو ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم ، وبابنها إسماعيل ، وهي ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة ، فوق زمزم في أعلى المسجد .. ثم دعا بهؤلآء الدعوات ورفع يديه ، فقال : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم .. حتى بلغ ﴿ يشكرون ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء .. إلخ » .

ما هي مكانة الحديث رواية ودراية ؟ وقد شدد الحافظ ابن كثير في الطعن في الحديث ، فقال : « وكان بعض هذا السياق متلقى من الإسرائيليات ، ومطرزاً بشئ من المرفوعات » .

بينما قد ذهب العلامة السيد سليمان الندوي وغيره إلى عدم قبول هذه الرواية وجعلوها لا يعتمد عليها ، وطعنوها بأنها من الإسرائيليات ، وقد أطنب العلامة الندوي في بيان الوجوه والأسباب التي أدت إلى سقوط هذه الرواية عن مستوى القبول .

هذا وقد رد على هذه الأقوال من جهات متعددة ، إلا أن الرد يسوده الطراز العقلي فحسب ، وينقض الأسلوب العلمي التحقيقي ، فرد عليه العلامة الأعظمي بغاية من التحقيق في أسلوب علمي خالص تتجلى منه مكانة الحديث رواية ودراية ، ويتبين به أيضاً مدى قوة الاستدلال العقلي والنقلي للعلامة الأعظمي .

فقال العلامة الأعظمي : إن الكلام عن رواية ابن عباس -رضي الله عنه - بأنها متلقاةمن الإسرائيليات جراءة علمية ، ما لم يتحقق أن ابن عباس سنحت له الفرصة للاستفادة والتلقى من أهل الكتاب ، وإذا سلمنا أن الرواية غير مرفوعة ، فماذا يمنعنا عن القول بأنها رواية تقليدية ، رويت كابراً عند كابر

وعلاوة على ذلك يبدو أن الذين طعنوا في نفس الرواية لم يتأملوا فيها، ولو فعلوا لتبين لهم أن الفقرات من الرواية التي ثبت رفعها في الحديث إنها تصدق الفقرات التي لم يثبت رفعها ، أو هي تتفرع عليها ، مثلاً : قال النبي -ﷺ- : « فلذلك سعي الناس بينهما » فإنها تصدق ذلك الكلام غير المرفوع التي سردت فيها تفاصيل سعي هاجر فيما بين الصفا والمروة ، وأيضاً تصدق مسبب السعي ، إذ لا وجه هناك للتفريق بين السبب والمسبب .

وكذلك قال النبي -ﷺ- : « يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم (أو قال) لم تغرف لكانت زمزم عيناً معيناً ، فإنها تصدق الفقرات السابقة ، وهي غير مرفوعة ، واعتقد أن الرواية بأسرها مرفوعة إلى النبي -ﷺ- حكماً »

وكلمة الذرية تطلق على كل من الأولاد ومن يليهم ممن هو موجود ، أو يتوقع وجوده

مثلاً في قوله تعالى : ١- ﴿ ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدى الظالمين ﴾

٢- ﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾

٣- ﴿ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾

وكذلك فإنها تطلق على النساء مثلاً في قول النبي -ﷺ- : « لا تقتلوا ذرية » (الحديث) ، وقول عمر - رضي الله عنه - : « احجوا الذرية » انظر للتفصيل النهاية لابن الأثير ، وقال في تفسير الجلالين تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ أسكنت من ذريتي ﴾ (وهو إسماعيل مع أمه هاجرة)

نظراً إلى هذه الحقائق لا توجد أي إشارة في قوله : ﴿ أسكنت من ذريتي ﴾ أن إسحاق - عليه السلام - كان قد ولد في ذاك الحين ، وقد جاء في القرآن الكريم بعد قوله تعالى ﴿ وفديناه بذبحٍ عظيم ﴾ و « بشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ وظاهره يقتضى أن قصة ﴿ أسكنت من ذريتي ﴾ ، تكون قد وقعت قبل ولادة إسحاق - عليه السلام - بكثير ، وفي هامش الجمل « وكان يزورهما على البراق كل يوم من الشام » (المجلد الثاني : ص/٥٢٨) .

هذا ، وسنورد في الحلقة القادمة الأخيرة - بمشيئة الله تعالى - ما يتصل برحلاته العلمية إلى الخارج والاستفادة من المكتبات والالتقاء مع رجال العلم والمعرفة من أصحاب الحديث ، وإفادتهم بمعلوماته وأفكاره العلمية ، حتى نشأت له جماعة من تلاميذه الذين استفادوا منه في الحديث وحصلوا منه على الإجازة فيه .

[يتبع]

الداعية المجاهد (أبو مجاهد)

فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف -إلى رحمة الله-

للدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي
حائل - السعودية

فقدت الأمة الإسلامية في يوم الجمعة ١٢ ربيع الآخر ١٤١٢هـ علماً من أعلامها ، ورائداً من رواد الفكر الإسلامي ، ومربياً ومدرساً وقائداً من خيرة قواد الدعوة ألا وهو فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف الذي بدأ يخدم الدعوة في العراق في أوائل الثلاثينيات ثم عرفته البلاد العربية والإسلامية ، رائداً من روادها العظام ، ومهتما بأمور الدعوة خطابة وكتابة وتدريساً وتأليفاً ونصحاً وإرشاداً وأسفاراً وتربية للشباب ، وصراحة في الحق ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم .

وكان مثالاً حياً لعالم عامل مجاهد ، حمل لواء الجهاد في سبيل الإسلام حياة كاملة لم يعرف خلالها الراحة أو الهدوء ، ولم يتراجع أمام كل ما صادفه من صعوبات ، وما تحمله في سبيلها من أحوال ، لأنه كان يصدر عن إيمان عميق بما يدعو إليه ، واطمئنان كامل إلى نصر الله ، حتى انتقل إلى رحمته تعالى .

المولد والنشأة : ولد الشيخ الصواف سنة ١٣٢٢هـ من والدين صالحين في مدينة الموصل ، حيث نشأ على الإيمان والإسلام منذ صغره ، يقول الشيخ : « لقد كنا ونحن صغار نتسابق على حضور صلاة الفجر ونبقى مشغولين بذكر الله وتلاوة القرآن الكريم إلى أن تطلع الشمس » .

- وهيأ الله له الظروف المباركة والأجواء المعطرة ، حيث تتلمذ على يد الشيخ عبد الله النعمة ، وكان من أكابر رجال الإسلام والإصلاح ، عرف بعقيدته السلفية وبإيمانه العميق وخلقه الجم ، ثم نهل من منهل الشيخ محمد الرضواني - رحمه الله - وهو من علماء الموصل الأفاضل وكان آية من آيات الله علماً وصلاحاً وتقى .

هكذا هيأ الله له سبل الخير ووسائل التربية ، وشاءت إرادته تعالى أن يتربى بين أحضان خيرة علماء العراق ودعاته ، يقول الشيخ : « كنت أزاحم في صبای العلماء والفقهاء أناقشهم وأستفيد من جلساتهم وأحاول أن أحذو حذوهم ، فكنت أدرس في الليل في الابتدائيات والمدارس الرسمية وفي النهار أزاحم العلماء والفقهاء في مجالسهم وأتتلمذ على أيديهم وأزداد إعجاباً بعلمهم وبسلوكهم » ويقول أيضاً : « لقد عشت على حب الله عزوجل وأحببت الإسلام بكل جوارحي ووهبت نفسي لله منذ نعومة أظافري وسألت الله أن يجعلني من عبيده المخلصين وجنوده الصادقين » .

كان الشيخ يهدف من علمه التقرب به إلى الله ، والاستعداد لخدمة دينه ونفع عباده ، وكان مع تحصيله للعلم يأخذ نفسه بالسلوك الصالح والعبادة الخالصة والشغف بتلاوة القرآن وتدبره ، والاهتمام بالذكر وقيام الليل كلما سنحت له الفرص ، وبذلك نشأ نقي المظهر والمخبر معداً خير إعداد لأداء رسالة الدعوة في بلده ثم في العالم الإسلامي الفسيح .

بزوغ فجر الحركة الإسلامية في العراق :

كانت العراق في فترة نشأة الشيخ تشهد مرحلة انتقالية من الخلافة العثمانية إلى الاستعمار الانجليزي ، وكان للشيخ صلة بكوكبة من العلماء والأعلام في الفقه والأدب ، وكان يتنقل من مجلس إلى مجلس ومن

بيت إلى بيت يتلقى التوجيهات ويشارك الأحداث بوعي ويقظة حتى نشأ على حب الخلافة الإسلامية والشهادة في سبيل الله .

وقد شاء الله تعالى أن يهيأ فرصة مبكرة للشيخ الصواف على طريق الدعوة إلى الله ، ذلك أن أحد وجهاء الموصل طلب من الشيخ أن يتولى الوعظ بمسجده في شهر رمضان ، وكانت فرصة ذهبية استغلها الشيخ في إيقاظ الشباب الذين أحسوا أن هناك قضية جديدة يجب أن يفهمها الناس وهي أن الإسلام مستهدف ، ومن هنا بدأت انطلاقة الشيخ وبدأ يتصل بالشباب وبالعاملين وببعض الرجال المؤثرين حيث قاموا بتأسيس جمعية « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وهي جمعية أخرى مستقلة عن جميعة « الشبان المسلمين » التي تأسست في الموصل ، تحت رئاسة شيخه الأستاذ عبد الله النعمة - رحمه الله - ، وكان ذلك في الثلاثينات .

وقد ظهرت على شيخنا الناهض في تلك الفترة علامات اليقظة والنشاط الدائب ، وكان من أهم ما اتصف به ، موهبة فائقة لإدراك مفاهيم الدعوة ، وقدرة عجيبة على الفهم السريع للقضايا المتجددة ، من انتهاء الخلافة وبداية عصر الاستعمار وفكرة تقسيم العراق ، ووسط الدعاوي المضللة والنعرات القومية والمد الشيوعي الأحمر ، ومن ورائهم الاستعمار البريطاني البغيض الذي أحكم قبضته ، ووضع خططه الخبيثة للقضاء على الإسلام في نفوس الشباب ، من خلال تجريد التعليم من كل شئ يمت بصلة إلى الإسلام ، وسط هذه التحديات ظهرت فئة من العلماء المخلصين للوقوف أما هذه المؤامرات والتصدى لها ، ولجمع شمل المسلمين ، فكان أن تأسست الجمعيات وظهرت المجلات الإسلامية تدافع عن الإسلام وتبث روح الجهاد ، وهي كلها وإن كانت جهوداً مشكورة إلا أنها لم تكن كافية أمام مخططات أعداء الإسلام .

وفي هذا الجو المكفهر ، اتصل الشيخ بالجمعيات الإسلامية ومد يده

للتعاون مع رجالها ، فالتحق بجمعية « الآداب الإسلامية » ، حيث وفقه الله تعالى بالارتباط بعالم رباني وفقيه متفتح وهو سماحة الشيخ أمجد الزهاوي - رحمه الله - ، وتوثقت العلاقة بينهما ، فكان معه كالولد مع أبيه والتلميذ مع أستاذه ، ونتيجة لهذه الصلة الحميمة ، تم إنشاء جماعة « الأخوة الإسلامية » التي هي « الإخوان المسلمون » وساهم في ذلك وشارك بعض رجال الإسلام البارزين في العراق ، فكانت هي المنطلق حيث أنشئت الفروع والمكتبات ، وتم تجميع العلماء والشباب إلى مركز (الأخوة) وأقبل الشباب عليها في كل مكان بالعراق .

وقد كان ذهاب الشيخ إلى مصر خلال ذلك في فترتين ، الأولى : في بعثة الأوقاف سنة ١٩٢٩م ، وبعد الحرب العالمية الثانية عاد للأزهر من جديد للمرة الثانية ، حيث قطع مراحل الدراسة ذات الست سنوات في ثلاث سنوات فقط ، ويقترب من حركة الإصلاح الكبيرة التي قامت في مصر بعد أن بعث فيها روحاً جديدة ذلك المصلح الموهوب (حسن البنا) ، فانضم إلى موكب دعوته ، والعمل في ميدان الإصلاح الإسلامي العام ، فجمع بذلك بين الدراسة والجهاد في ميدان الدعوة بقوته العظيمة ومواهبه النادرة .

تكوينه الدعوي وتربيته الحركية :

بدأ الشيخ في التعاون ، من جميع العاملين للإسلام ، ولم يحصر نفسه بجماعة معينة ، بل كان هدفه هو العمل للإسلام ، لا يهمه إن كان في الصدر أو المؤخرة مادام العمل للإسلام ، وهذه هي الطريقة المثلى التي بدأها وسار عليها الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله - ، الذي يتحدث عنه الشيخ الصواف فيقول : « وكنت أرى وألمس بنفسي حسن خلقه وتعامله مع الناس وحكمته وبراعته ولباقته وحبه للجميع من إخلاصه للجميع - رحمه الله - » (١) .

(١) من سجل ذكرياتي : ص/١٢٧ .

لقد عاش الشيخ خلال فترة وجوده في القاهرة - عند ما ابتعث إليها في بداية عام ١٩٢٩م - عيشة الشاب المتفتح المتعطش للارتواء من مناهل الدعوة ومعارفها المختلفة ، واستفاد من وجوده في مصر ، وتكون لديه منهجاً للدعوة يمتاز بالشمولية والحكمة وسعة الأفق والاستفادة من المناهج المتعددة ، يقول الشيخ : « الداعية في نظري يجب أن يكون متمرساً متدرباً ويتصل بكل الوجوه والشخصيات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وكما يقولون : (ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها) » .

ويتضح ذلك جلياً في اتصالات الشيخ بالشخصيات الإسلامية المتعددة أثناء وجوده في القاهرة ، فنراه يحرص على لقاء الإمام الشهيد حسن البنا ، فيذهب إلى مسجد الجمعة الذي يخطب فيه الإمام ، وبعدها يواظب على حضور (حديث الثلاثاء) في قاعة المركز العام للإخوان المسلمين .

وكان خلال المدة القصيرة التي قضاها في القاهرة حريصاً على زيارة ولقاء رجالات الإسلام البارزين في مصر ، فقد التقى بالشيخ الأكبر مصطفى المراغي - رحمه الله - ، وبالشيخ الوقور العالم محمد الخضر حسين - رحمه الله - وتوثقت صلته به ، وواظب على زيارته في مركز الهداية الإسلامية ، ونراه يحضر محاضرات جمعية الشبان المسلمين ، ويلتقى بمؤسسها الرجل العملاق عبد الحميد سعيد - رحمه الله - ويتصل بالكاتب الإسلامي الكبير أحمد أمين صاحب كتب (فجر الإسلام) (ضحى الإسلام) (ظهر الإسلام) وبالكاتب العملاق صاحب العبقريات عباس محمود العقاد ويتحدث معه عن مقومات هذه السلسلة المبتكرة في فن السيرة .

لقد كان الشيخ حريصاً على الارتواء من مناهل الحركات الإسلامية على مختلف مناهجها ومسالكها ، مثل (أنصار السنة) ورئيسها الشيخ

محمد حامد النقي ، (شباب سيدنا محمد) ورئيسها الأستاذ حسين يوسف ، ويقرأ للأستاذ محمد فريد وجدي ويتذاكر معه في شئون الدعوة الإسلامية .

وهكذا قضى الشيخ الصواف أجمل أيام حياته في مصر - على الرغم من قصرها - كالنحلة تمتص من كل زهرة رحيقاً ثم تكون عسلاً شهياً فيه شفاء للناس ، فكانت دعوته كالرحيق وهي دعوة الأخوة الإسلامية الأصيلة .

يقول الشيخ : « وهذه التجارب الثرية ساعدتني على أن أنطلق بالدعوة للعراق » فلما كانت حركة ١٤ يوليو ١٩٥٨م بالعراق وقف الشيخ برجولة وإباء وحزم وإيمان في وجه هذا المد الشيوعي وهاجمه الأعداء وحطموا مطبعته ومجلته « لواء الأخوة الإسلامية » ثم سجن وأصابه الأذى فصمد ثم غادر العراق إلى سوريا فالسعودية حيث استقبل استقبالاً كريماً وعين أستاذاً بكلية الشريعة في مكة المكرمة ، ومنح له الإقامة ثم الجنسية ومن ثم بدأ نشاطه في مجال الدعوة وسرعان ما عرفته المؤسسات العلمية والأوساط الدعوية رائداً من روادها العظام ومؤسساً لحركة إسلامية واسعة راسخة أقضت مضجع خصوم الإسلام ، كما عرفته سياسياً نافذ النظرة يقول كلمة الحق ويعمل على وحدة العرب والمسلمين على هدى واضح من مبادئ الإسلام العظيمة ، كما عرفته خطيباً موفقاً ومحاضراً ناجحاً سريع البديهة ، جديد الفكرة ، واسع الإحاطة ، شامل النظرة ، وعرفته الأوساط العلمية ، عاملاً على توضيح أسس الفكر الإسلامي بوجهيه التربوي والسياسي .

مظاهر عالمية الدعوة في حياة الشيخ :

وهب الله الشيخ حساً مرهفاً ووعياً شاملاً بطرق الدعوة ، وفهم معاني

الحكمة والموعظة الحسنة ، وكان لهذا كله أثر عظيم في نجاحه وتوفيقه في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بأمورهم .

لقد أدرك الشيخ بتوفيق من الله معاني الأخوة الإسلامية ، ولا غرو ، فقد تربى تربية إسلامية منذ نعومة أظافره ، وخالط أهل التقوى والصلاح وعاشر رجال الفكر والدعوة ، ودرس كتاب الله عزوجل ، ووعي سنة رسوله ﷺ ، ولذا عاش الشيخ للإسلام والمسلمين داعياً وموجهاً ومرشداً ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان أنموذجاً لقول رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وهذه من أبرز أهداف « جمعية الأخوة الإسلامية » ظل الشيخ يعيش قضايا الإسلام والمسلمين ويدعو إلى جمع صفوفهم وتوحيد كلمتهم فكان كثير الأسفار والتجول في بلاد العالم الإسلامي ، ويقوم بدور بارز في اقامة المؤتمرات في الهند وباكستان والسعودية ومصر من أجل نصرة قضايا للعالم الإسلامي ، ولا سيما قضية فلسطين التي أولاها الشيخ اهتماماً كبيراً ، وكان من أوائل من شارك في مؤتمر القدس الذي عقد أوائل الخمسينات ومؤتمر عموم الهند بمدينة دلهي سنة ١٩٢٦م ثم بمدينة كراتشي ، وحينما قررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين هاج العالم الإسلامي وماج وقاد الشيخ مسيرة شبابية هادفة ، ثم قرر تأسيس جمعية « إنقاذ فلسطين » التي انضم إليها كثير من المجاهدين ، وظل الشيخ يوجه هذه القضية وجهة إسلامية طوال حياته ، وكان يقول : « إن الخطأ الأكبر هو تحويل قضية فلسطين من قضية إسلامية مقدسة إلى قضية عربية صرفة ، فالأقصى لم يكن قبلة العرب الأولى ، بل كان قبلة المسلمين الأولى » .

وزار الشيخ شمال و غرب إفريقيا ، والتقى هناك بعلمائها وزعمائها ، كما أولى الشيخ اهتماماً كبيراً لقيام دولة الباكستان ، وكان أحد أعضاء الوفد العراقي الذي كان يرأسه سماحة الشيخ أمجد الزهاوي في المؤتمر الإسلامي الأول في الباكستان سنة ١٩٤٩م ، وظل الشيخ طيلة حياته مهتما بالباكستان حكومة وشعباً، وشارك المشاركة الإيجابية لقضاياها، عند ما زار محمد أيوب خان رئيس جمهورية باكستان مكة المكرمة سنة ١٩٦٠م وجه خطاباً مفتوحاً إليه يطالب فيه بتطبيق الشريعة الإسلامية، وكان الشيخ على صلة عميقة مع أقطاب الدعوة في الهند وباكستان ، مع الأستاذ أبي الحسن الندوي وأبي الأعلى المودودي .

ومن القضايا الإسلامية الكبرى التي اهتم الشيخ بها ، قضية تحرير الجزائر ، بلد المليون شهيد ، فشارك منذ البداية وقام خطيباً في مسجد الأعظمية ، وأعلنها ثورة إسلامية لتأييد جهاد شعب الجزائر ، وأعطى الشعب العراقي فكرة واضحة عن بطولة الجزائر وقضيتها ، وسافر مع وفدإلى الجزائر سنة ١٢٨٧هـ ، وظل يشارك بتوجيهاته ورحلاته إلى آخر حياته المليئة بالجهاد .

كما اهتم بقضايا المغرب العربي ، والتقى بالملك محمد الخامس (ملك المغرب) بالمدينة المنورة ، وتحدث معه في شأن الحالة الإسلامية بالعراق وحالة المسلمين بصورة عامة وكان ذلك تقريباً سنة ١٩٦٠م .

وأرسل نصائحه في رسائل إلى الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس الليبي معمر القذافي .

كان - رحمه الله - مثلاً كريماً للداعية المتفتح والمجاهد المناضل ، يعيش للمسلمين وبالمسلمين ، ينظم الجموع ويجند الجند ويجمع الأموال للجهاد ، ويتفقد الخطوط الأمامية في ديار فلسطين بالطعام والسلاح ،

وتراه على هضبات بيشاور و أفغانستان ، يوحد القلوب ، و يطهر النفوس ، ضارباً المثل في الإخلاص والإيمان ومعاني الجهاد .

وجدير بالذكر أن الشيخ الصواف كان من مؤسسي المؤتمر الإسلامي في القدس الشريف ، بالاشتراك مع شيخ علماء العراق سماحة الشيخ أمجد الزهاوي ، وله دور فعال في تأسيس رابطة العالم الإسلامي في مكةالمكرمة، وانتخب عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وابتعث مندوباً من قبل الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى إفريقيا المسلمة ، وزار حوالي ٢٧ دولة إسلامية زيارة الداعية الناجح .

صلتي بالشيخ (لمسة وفاء) :

وكان من أبرز ما من الله علي أيام دراستي في القاهرة أن هيأ لي الاجتماع بشباب الدعوة من معظم أقطار العالم الإسلامي ، وكانوا يتحدثون عن الدعوة والدعاة ومن ضمنهم الشيخ الصواف وكنت تواقاً لرؤيته إلى أن تعرفت على الشيخ بواسطة بعض الشباب في عمان (الأردن) في بيت أحد الدعاة وكان ذلك سنة ١٩٦٦م وكان لقاءً مثيراً وأسعدني الله به وأقر عيني برؤيته ، وجدته عطوفاً مهتماً بي ، وتحدث معي طويلاً في أمور الدعوة والأوضاع الراهنة في أرض الكنانة ، ولفت نظري حرصه على تفقد أحوال إخوانه .

وكان اللقاء الثاني بالشيخ في ساحة الحرم المكي ، فإذا بالشيخ المربي يشملني بعطفه الصميم ويغمرني بأبهى معاني الأخوة ، ويوفقه الله أن يذلل لي سبل العمل بالتدريس في بلاد الحرمين الشريفين ، وأن يزور مدينة حائل - حيث أعمل - مبعوثاً ومرشداً فلازمته ملازمة الظل ، وعرفته مجاهداً مناضلاً يسعى لترسيخ أركان الدعوة الإسلامية بوجهيها

التربوي والسياسي .

وكنت أتحين الفرص للاستفادة من مجالسه العلمية ، فأسافر في فترات متقاربة إلى مكة المكرمة حيث كان له مقابل الركن اليماني - مجلس خاص - بين المغرب والعشاء يلتف حوله شباب الدعوة الزائرين من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، يتبادلون معه الآراء ، ويستفيدون من خبراته ، ويبثون إليه أحزانهم وهمومهم ، ويمدونه بأحدث الأخبار .

ثم كنت أقابله في مصر في التمانينات في مسجد صلاح الدين محاطاً بالشباب ، وهو يرشد ويعظ ويوجه ويثير الهمم ، ويزودهم بخبراته ومعلوماته في الدعوة ، وكان يعطى اهتمامه الطيب بدراستي ويسر بكتابتي ، ويوصيني بالاستمرار في التدريس والتأليف والبحث ، وأياديه البيضاء علي أكثر من أن تعد .

ولأستاذنا الجليل عدة مؤلفات منها : تفسير سورة الفاتحة (عدة ..) وتفسير جزء عم ، والصيام والصلاة ، وزوجات النبي الطاهرات ، مكافحة الاستعمار ، معركة الإسلام ، القيامة رأي العين ، رحلاتي إلى الديار الإسلامية ، صرخة مؤمن إلى الشباب والشابات ..

وفي الختام لا أملك إلا أن أدعو الله تعالى له بالمغفرة وأن يتغمده سبحانه بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته ، فقد قضى قرابة نصف قرن من الزمان على طريق الدعوة يدعو ويربي ويؤاصى وينظم ويجاهد ويكافح ويحض العاملين على التعاون وتضافر الجهود والاعتصام بحبل الله المتين ، ويهاجر ويسافر وينتمى إلى أسرة الدعوة في كل مكان وبلد إلى أن لبى نداء ربه : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

.....

صور وأوضاع :

بين تفسير وتفسير

واضح رشيد الندوي

عند ما يتناول المحللون للوقائع في العالم الإسلامي ، الأحداث التي تقع في اقطار المسلمين المختلفة بالبحث والتعليق ، تختلف آراؤهم ومذاهبهم في معالجة أسباب هذه الأحداث وطبيعتها باعتبار الأوضاع وباعتبار الأماكن ، ويتوصلون إلى نتائج مختلفة وذلك لأن بعض الأحداث لها عوامل عنصرية ، وأخرى دينية ، وبعض هذه الأحداث ترجع إلى أسباب اقتصادية ، وبعض الأحداث لها خلفيات تاريخية ، كما ترجع بعض الأحداث إلى مواقف التطرف ، أو العصبية الزائدة ، لمذهب أو لمنهج عملي ، أو نظرية وفكر .

ولا شك في أن هذه المعالجات لها مبررات فإن مشكلة المسلمين ليست مشكلة واحدة ، فليست الأقليات الإسلامية وحدها هي المضطهدة ، بل الأغلبيات الإسلامية أيضاً تواجه الاضطهاد ، وليس المسلمون في منطقة خاصة بمضطهدين لتعنت غير المسلمين في بلدهم ، أو بقهر الحكام أو الأغلبية في بلدهم بل تمتد معاناة المسلمين اليوم من أقصى الأرض إلى أقصاها الآخر . وليس لهم عدو واحد ، ليتصدى له المسلمون ، ويتخلصوا منه ، وإنما يواجه المسلمون أعداء مختلفين ، ومناهج مختلفة ، وأشكالاً للحرب عليهم .

لقد فرضت على المسلمين الحرب في البوسنة والهرسك ، وتكتلت القوى

العالمية لمحاربتهم وخسر المسلمون في هذه الحرب جزءاً كبيراً من أراضيهم ، وأكثر من مأتى ألف من شبابهم ، لكنهم صامدون ، لم يفقدوا الأمل ، ولم يفقدوا الأعصاب ، بل معنويتهم عالية رغم ضخامة الخسائر ، وضآلة الوسائل ، وتخاذل الأصدقاء .

وفرضت على المسلمين الحرب الأهلية في أفغانستان بعد أن ضحوا في سبيل تحرير بلادهم بمليوني شخص ودمرت بلادهم ، وخرجوا من الحرب الواقعية منتصرين ، وتآمر الأعداء عليهم وجاسوا خلال الديار ، وأوقعوا بين الاخوة المناضلين ، و نفخوا روح العصبيات و العنجهيات القبلية ، فيجرى سفك دماء المسلمين ، ويخشى أن تصبح أفغانستان إذا لم يوضع حد للتقاتل فيها لبنان ، وينسى الناس قصص الجهاد والبطولة الإسلامية ، وروح الفداء الذي سجل المجاهدون أروع صفحاته ، فإذا كانت المعركة قبل الحرية ، معركة بين المجاهدين والشيوعيين ، صارت المعركة الآن بين الاخوة المتحاربين ، على أساس العصبية القبلية ، والعنصرية .

ومن الأحداث الدامية التي يتعرض لها المسلمون ، الحرب الأهلية التي دمرت الصومال ، فقد فرضت على البلاد بعد انهيار النظام وشقاء الشعب الوصاية العالمية ، ودخلت قوات الاغاثة لاقرار الأمن والنظام ، وبذلك فتح باب الحكم الأجنبي على البلاد ، وكانت مثل هذه الأوضاع مهدت سبيل المستعمرين في الماضي .

وفي الوقت الذي تجرى فيه المعارك الطاحنة في البوسنة والهرسك ، تجرى معركة بين الشيوعيين والإسلاميين في تاجكستان ، فبينما تخلصت روسيا والدول التي كانت تحتمى بها من الحكم الشيوعي ، عاد الحكم الشيوعي إلى تاجكستان ، وأسفرت المعارك بين القوى الشيوعية والقوى الإسلامية ، عن مقتل آلاف من التاجكيين ، وتشريد أكثر من مائة

ألف وهم الآن لاجئون في أفغانستان ، البلد الذي يواجه حرباً أهلية واقتصاده محطم ، وهو لا يقدر على تغذية أبناء البلد ، فكيف يتحمل هذا العبء الإضافي ، ومثل ذلك اللاجئون البهاريون الذين ينتظرون العودة إلى باكستان ، وقد مات منهم من مات ، وضاع من شبابهم من ضاع ، ومشكلة الاكراد المعذبين ، والفلسطينين الذين يقضون الشتاء على الثلج ، في جميع هذه المسائل ، يلاحظ العالم غياب العمل الإسلامي وظهور القوة الإسلامية رغم العدد ، والمواهب والوسائل الموفرة ، لمنع الظالم من الظلم ، وإنقاذ المظلوم ، سوى الجهود الطوعية والأعمال الخيرية .

كانت هذه هي القضايا الرئيسية التي تسبب معاناة المسلمين في الدول التي هم فيها في الأغلبية ، وإضافة إلى ذلك يواجه المسلمون في بلاد أغلبيتهم سياسات جائرة من الحكام المسلمين أنفسهم ، فيجرى صراع بين النظام السياسي ، وبين الإصلاحيين ، الذين يطالبون بالتخلص من المنهج الأوربي الاستعماري للحكم ، والعودة إلى الحكم الإسلامي ، أو تنقية أجهزة الحكم من العناصر غير المخلصة لطبيعة البلاد ، ومصلحتها القومية ، يواجه المسلمون فيها إجراءات قاسية لقمع آرائهم ، ورغباتهم .

فإذا كان المسلمون يعيشون في ظروف قاسية في البلاد التي يشكلون فيها الأغلبية والحكم فيها بأيديهم ، وتفرض عليهم سياسة جائزة ، وتسلب حرياتهم ، وتسفك فيها دماؤهم ، ويتجرأ عليهم اخوانهم ، ويحكم في قضايا المسلمين أعداؤهم ، فكيف لا تجترأ على المسلمين النظم غير الإسلامية ؟

لقد كان للمسلمين رعب وهيبة في الماضي ، كان يحسب لهم حساب ، وكان المسلمون يعدون عدة ، فكان الحكام في بلاد غير المسلمين يفكرون قبل الاقتحام في أي مغامرة ضدهم في نتائج إجراءاتهم القاسية ، لكنهم

تأسدوا عليهم بعد مذبحة بيروت وحرب لبنان ، والخليج ، والمعارك التي جرت بين المهاجرين والمواطنين في باكستان ، والصومال ، والبوسنة والهرسك ، ومحاكمة الإسلاميين واضطهادهم في عدد من البلدان الإسلامية ، وانتهاك الحكومات للحرمات ، واعتداؤها .

إن العالم يعرف ما يحدث للمسلمين أنفسهم في بلدانهم ، وقد كتب أحد المعلقين ، أن تصور الأمة قد تحطم ، فالمسلم يحارب المسلم ، والمسلم يدمر بلده بيده ، ولا يتقدم لنجدته ، إلا المسيحي ، وكتب أحد من غير المسلمين في (تائمس آف إنديا) ان الإسلام بدأ يتراجع ، ويتقهقر ، ولم تبق له شوكة ولا صولة ، وكتب أنه يمكن إبادة المسلمين كلياً ، ولن يكون له أي رد فعل كبير .

وليس هذا فكر المثقفين الذين يعرفون ما يجرى في العالم ، بل أصبحت هذه الأحداث موضوع عامة الناس ، فإن نظام البث المباشر ينقل معاناة المسلمين في العالم إلى كل مكان ، فيرى المشاهدون كل يوم أشكالاً لمعاناة عرضتها المسلمون وحدهم ، وقد قالت طالبة صغيرة غير مسلمة في الهند ، لطالبة صغيرة مسلمة ، سنخرجكم من هذا البلد ، وليس لكم من يعينكم ، أنتم معذبون ، في البوسنة والهرسك ، يقتلكم الصرب ، ومعذبون في الصومال ، تتقاتلون فيما بينكم وأخرجتكم إسرائيل ، وأنتم معذبون في بلدانكم .

يعرف اعداء المسلمين أنهم إذا اتخذوا أي إجراء ضد المسلمين فليس هناك من يتصدى لهم ، أما الكلام والاحتجاج ، فهم يملكون لباقة لتحوير الكلام ، ولو عرفوا النتائج السيئة لما اقحموا أنفسهم في أي مغامرة ، ومثال ذلك أن أعضاء منظمة شيوسينا في بومباي يعلنون بأنهم سيخرجون المسلمين من بومباي ، ويمنعون المسلمين من العودة إلى عملهم

في المعامل والمصانع ، وهم واثقون بأن هذه الإجراءات لن تحدث لهم مشاكل ، ولا يستطيع أي بلد إسلامي أن يتخذ أي إجراء ضد العمالة الأجنبية ، ولو علموا أن هذا التهديد سيؤدي إلى تهديد لاخوانهم لما خطر ببالهم هذا الإجراء ، ولاتخذت الحكومة الهندية إجراء ضدهم

إن مشاكل المسلمين في العالم كله مهما تعددت أسبابها ، وخلفياتها ، وعناصرها ، تتحد في مشكلة واحدة ، وهذه المشكلة هي غياب الإرادة الإسلامية ، والانطواء الإسلامي ، في القضايا التي تهم الأمة الإسلامية ، وقد ظهر هذا النوع من التخاذل في الصومال ، وتدخلت القوي العالمية ، ويظهر الآن في أفغانستان ، وإذا اشتد الخصام ستتدخل القوى العالمية لتسوية النزاع القائم ، وكذلك تأخر اهتمام المسلمين بالأوضاع في البوسنة والهرسك بينما وجهت أوربا الصليبية ثقلها إلى الصرب ، إن المسلمين فقدوا بهذا التردد في اتخاذ الإجراءات اللائقة بهم ، قوتهم في العالم ، وفقدوا مهابتهم ، وذهب رعبهم ، وان أكثر من خمسين بلداً لهم لا تستطيع أن تؤثر على بلد واحد ، يشكل جزء يسيراً من الأرض ، فإنهم أنفسهم يحاربون المسلمين ويحاربون الإسلام ، ويسعون إلى أن تجف منابع قوة الإسلام ، ولا حل لمشاكل المسلمين إلا أن يعود إليهم الوعي الذاتي ، وينتقل هذا الوعي إلى العمل وفرض الإرادة والتضحية في سبيله ، وتصبح مصلحة الإسلام فوق كل مصلحة .

وهذا هو التفسير الحقيقي للأحداث الدامية التي يمر بها المسلمون في العالم . أما التفسيرات الأخرى لتحليل الأحداث تحليلات سياسية واقتصادية ، وعنصرية ، فهي تفسيرات طارئة لا تغير من الوضع ، ولا تجدى نفعاً

.....

قراءة في كتاب :

« مصـــارف الـــزكاة »

خورشيد أنور البجنوري الندوي

كلنا يعلم أن الزكاة ركن منصوص من أركان الإسلام ، لقول رسول الله -ﷺ- : « بنى الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً (رواه الشيخان) .

والزكاة مصارفها معلومة محددة حصرتها الآية القرآنية في ثمانية أصناف ، وهي في سورة التوبة الآية : ٦٠ ، قال الله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله • وابن السبيل • فريضة من الله والله عليمٌ حكيمٌ ﴾ ، ولم تزل هذه الصنوف كلها متفقاً عليها ، فذهب جمهور العلماء والفقهاء إلى أن المراد من ﴿ في سبيل الله ﴾ المجاهدون في سبيل الله الذين يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله ، إلا أن الإمام أحمد بن حنبل أدخل في هذا المصرف حجاج بيت الله كذلك .

ولكن بعض العلماء في العصر الحاضر بدأوا يتوسعون في بيان مدلول ﴿ في سبيل الله ﴾ توسعاً زائداً يبطل الهدف الأصيل والغاية المتوخاة من الزكاة ، فقالوا : يجوز صرف الزكاة في كل عمل خيري سواء كان طلب العلم ، أو عملية التحقيق والتصنيف ، أو إدارة المدارس والأكاديميات والمجامع العلمية أو غير ذلك .

ومن بين هؤلآء العلماء الذين قدموا نظرية التعميم لمفهوم ﴿ في سبيل الله ﴾ فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي (رئيس الأكاديمية الفرقانية بنجلور- الهند) والشيخ رشيد رضا المصري ، أما الدكتور يوسف القرضاوي فاختار التوسيع بدل التعميم ، والأمير صديق حسن

ذهب إلى التعميم أولاً ثم رجع إلى قول الجمهور كما أثبت ذلك مؤلف هذا الكتاب .

هذا الكتاب باللغة الأردية ، ألفه فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي ، وتناول فيه موضوع الزكاة ومصارفها ، ببحث وتمحيص ، وهذا الكتاب في الواقع رد على وجهات النظر التي تعمم مفهوم ﴿ في سبيل الله ﴾ وتجعله يشمل كل عمل خيري ، فأثبت المؤلف في ضوء الاستدلالات القوية من الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء الجهابذة ، وأئمة الفقه والسنة أن ﴿ في سبيل الله ﴾ لا يعم بل يخص ، ويشير إلى مصرف خاص من مصارف الزكاة وهو الجهاد في سبيل الله ، والمراد من الجهاد القتال والغزو في سبيل الله لا الجهاد العلمي ، والقلمي ، واللساني ، كما يزعم بعض علماء هذا العصر .

وقصة هذا الكتاب أن فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي كان كتب مقالة باللغة الأردية نشرت في مجلة (برهان) الصادرة من دلهي (الهند) حول موضوع « نظام الزكاة في الإسلام ونصيب المؤسسات الإسلامية منها » قد دعا فيها صاحب المقال إلى تعميم مصرف الزكاة السابع وهو ﴿ في سبيل الله ﴾ ولم يكتف بذلك بل عاب على العلماء والمسئولين عن المدارس الإسلامية ، وأصحاب الفتيا ، ووجه النداء إلى العلماء وأصحاب الفتيا أن يعدلوا فتاواهم ويفتوا بتعميم مصرف ﴿ في سبيل الله ﴾ وإعطاء الزكاة لكل من يقوم بأي نوع من الجهاد قتالياً كان أم علمياً مثل المؤسسات والأكاديميات الإسلامية التحقيقية ، فرد عليه فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي أستاذ الفقه والحديث في دارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، بمقالة حول موضوع : « نظرة تحقيقية على مصرف الزكاة ﴿ في سبيل الله ﴾ » ونشرتها مجلة (الفرقان) الصادرة من لكناؤ ، ثم ألف فضيلة الشيخ شهاب الدين الندوي كتاباً حول الموضوع في ثلاثة مجلدات سماه : « من الذين يستحقون الزكاة ؟ .. » طبع منها مجلدان والثالث في الطريق .

فهذا الكتاب الذي نحن في الحديث عنه يحتوي على البحث الذي نشر في مجلة (الفرقان) في ثماني حلقات ، ثم تناول المؤلف كتاب فضيلة الشيخ شهاب الدين الندوي المذكور أعلاه ؟ بالنقد في أسلوب علمي هادئ رصين يقول :

« لم تزل توزع أموال الزكاة في ضوء هذه الآية الكريمة منذ العهد النبوي إلى عصرنا هذا ، ولم تزل الدول الإسلامية والأغنياء المسلمون يؤدون الزكاة إلى هذه المصارف لا غير ، ومصرف الزكاة السابع في ضوء هذه الآية هو ﴿ في سبيل الله ﴾ ، وعند جمهور المفسرين والفقهاء المراد من ﴿ في سبيل الله ﴾ المجاهدون والمقاتلون في سبيل الله ، وتؤيد هذا المعنى الأحاديث الصحيحة ، وآثار الصحابة والتابعين ، ويؤثر عن بعض الصحابة والفقهاء والمجتهدين أن حجاج بيت الله ﴿ إذا انقطعت بهم السبل ﴾ يدخلون في مصرف ﴿ في سبيل الله ﴾ أيضاً ، ولم ينقل عن لصحابة والتابعين والمفسرين والمجتهدين كلهم سوى هذين التفسيرين ، ولم يزل عدم دخول الأعمال والشئون الأخرى الخيرية سوى الغزو والحج في مصرف ﴿في سبيل الله﴾ مجمعاً عليه، كما سيظهر بالتفصيل الآتي » (مصارف الزكاة : ص/١٥) .

وتناول المؤلف آراء العلماء الآخرين ووجهات نظرهم مثل الشيخ رشيد رضا ، والأمير صديق حسن ، وأمين أحسن الإصلاحي ، والدكتور يوسف القرضاوي ، بتحليل واستعراض علمي محايد في ضوء القرآن والسنة .

وفي الأخير ألحق بالكتاب مقال حول موضوع « آل محمد -ﷺ- والزكاة » نشر في مجلة (الفرقان) أيضاً ، وذلك لأنه يتعلق بموضوع الزكاة كما أشار إليه المؤلف في مقدمته ، فجاء هذا الكتاب كمجهود علمي وجيه في تحقيق مصارف الزكاة وخاصة في تحقيق مصرف ﴿ في سبيل الله ﴾ وتبيين المعنى الحقيقي والمراد الأصيل منه ، فجزاه الله خيراً .

.....

إلى رحمة الله :

فضيلة الأستاذ عبد النور الندوي - في ذمة الله -

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الأستاذ عبد النور الندوي أستاذ بكلية اللغة العربية في دارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ في ٧/من شعبان ١٤١٢هـ المصادف ٢١يناير١٩٩٢م . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الأستاذ عبد النور الندوي -رحمه الله- من جيل الستينات . الذي تخرج من دارالعلوم لندوة العلماء بامتياز . وإنه بعد تخرجه من مرحلة الفضيلة عين أستاذاً في دارالعلوم أحمدية سلفية بدربهنگه لمدة سنتين . وبعد ذلك بمدة سافر إلى القاهرة لتلقى العلوم الأدبية في الأزهر . حيث مكث أكثر من خمسة أعوام . وأحرز شهادة الماجستر بامتياز من قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية في الأزهر وأعد رسالة لنيل هذه الشهادة بعنوان « الذوق الأدبي » وفي أوائل الثمانيات انتدبته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لتدريس اللغة العربية في المعهد . ولكنه رجع إلى جامعة ندوة العلماء على حساب رابطة العالم الإسلامي كأستاذ مبعوث . وتابع نشاطه العلمي والأدبي هنا . وشارك جميع البرامج الأدبية والعلمية . حتى إذا قامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية أسهم في برامجها وأنشطتها بحماسة و إخلاص . وعين سكرتير الرابطة في مكتب الرابطة بندوة العلماء وأدى مسئوليته بعناية بالغة . وشارك مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية في استنبول عام ١٩٨٩م مع وفد ندوة العلماء برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس الرابطة .

وقام قبل مدة بالجولة الأدبية برفقه وفد رابطة الأدب الإسلامي إلى مدن الهند الكبرى برئاسة سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الأمين العام للرابطة ونائب الرئيس العام .

كان الأستاذ عبد النور يمارس واجبه التعليمي والأدبي بنشاط إذ أصيب بمرض السكر والضغط الدموي الذي أثر على الكبد والكليتين مما جعله طريح الفراش . ورغم المعالجات الطبية والتدابير المثيرة التي استخدمت في علاجه لم يكتب له الشفاء . و وافاه الأجل في يوم الأحد ٢١ من يناير وصلى عليه سماحة العلامة الندوي في جمع عظيم من طلبة دارالعلوم وأساتذتها .

جزاه الله خيراً وغفرله زلاته . وألهم أهله ودوية الصبر والسلوان . وجعله ممن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

اقرأوا كتاب :

رسائـــل الأعـــــلام

مجموع رسائل لكبار العلماء ، و قادة الفكر و الزعماء ، و المؤلفين و الأدباء ، و الكتاب الاسلاميين الأصدقاء ، و بعض الملوك و الأمراء و الوزراء فى العالم العربى ،

سبعون رسالة لخمسين كاتباً مرموقاً

كتبت و وجهت إلى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى أمين ندوة العلماء العام ، و رئيس المجمع الاسلامى العلمى فى لكهنؤ (الهند) فى الفترة ما بين

١٣٦٧هـ ـــــ ١٤٠٤هـ

إخراج و تقـــديم

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى

عميـــد كلية اللغة العربية و آدابها ، جامعة ندوة العلماء

لكهنؤ (الهنـــد)

يطلب الكتاب : من مكتبة دار العلوم لندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكهنؤ (الهنـــد)